نهر الدم

- لماذا التقت دونا (كارولينا) بـ (أدهم صبرى) فى قلب نيويورك ؟!
- ما الذى أقحم (أدهم) فى ذلك الصراع على الزعامة، بين عائلات المافيا ؟!
- تُرى ما دور المخابرات المصرية فى ذلك الصراع ؟ ولمن يراق (نهر الدم) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (رجل المستحيل) ..

711059



العدد القادم : المحترف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

102



الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار
فى سائر الدول العربية

رجل المستحيل 102 نهر الدم • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
نهر الدم
102

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- أيام القتل..

بدأ ذلك الصباح صحوًا دافئًا، على عكس المألوف فى ولاية (وسكنسون) الأمريكية، فى تلك الفترة من العام، وألقت الشمس أشعتها الذهبية على ضيعة الملياردير (ريكاردو بونتى) الشاسعة، وانعكست على قباب قصره المنيف، الذى بناه على الطراز نفسه، الذى شيّده أجداده فى (صقلية)، منذ عشرات السنين، وراحت صفحة حوض السباحة تتألّق وتتلألأ، وترسم عشرات الشموس الصغيرة، فملأ (بونتى) صدره بالهواء النقى، وتمطّط فى قوة، وهو يقول لحارسه (نينو):

- أظن أن حمام الصباح سيختلف اليوم يا (نينو).

انحنى (نينو) فى احترام بالغ، وهو يقول:

- بالتأكيد يا دون (بونتى) .. بالتأكيد.

استنشق (بونتى) الهواء مرة أخرى فى قوة، ثم خلع معطف الاستحمام، واتجه نحو لوح قفز قصير، يرتفع مترًا واحدًا عن سطح الماء، وقال فى انتعاش:

- قفزة واحدة ، وربع ساعة من السباحة الهادئة ، وبعدها نرتدى ثيابنا ؛ للحاق باجتماع مجلس إدارة المؤسسة .. أليس كذلك يا (نينو) ؟

عاد (نينو) ينحنى فى احترام شديد ، مجيبًا :

- بلى يا دون (بونتى) .. هو كذلك .

صعد (بونتى) إلى لوح القفز ، وفرد ذراعيه عن آخرهما إلى الأمام ، فى مستوى كتفيه ، وملأ صدره بالهواء النقى ، و ...

وفجأة ، لمح ذلك الكابل الضخم ، الذى تدلّى فى الماء ، عند الركن البعيد للحوض ، فهتف منزعجًا :

- اللعنة !.. ما هذا بالضبط ؟

كان المفروض أن يتوقّف ، وأن يتراجع فى قفزته ، ولكن المؤسف أنه لم ينطق بهذه العبارة ، إلا وقد دفع جسده إلى الأمام بالفعل ، ولم يعد هناك مجال للتراجع ..

وفى قوة ، لوّح (ريكاردو بونتى) بذراعيه فى الهواء ، وصاح :

- لا .. (نينو) .. النجدة .

ارتفع حاجبا الحارس الخاص فى دهشة ، وهو يحدّق

فى سيّده ، الذى فقد توازنه ، واندفع جسده إلى الأمام ، نحو حوض السباحة ، وتساءل فى حيرة عن سر استنجاده به ، وهو الذى يجيد السباحة كالأسماك ، ولكنه ، وبحركة غريزية ، انتزع مسدسه المعلّق تحت إبطه من غمده ، وصاح :

- ماذا حدث يا دون (بونتى) ؟

ومع آخر حروف كلماته ، ارتطم جسد (بونتى) بالماء ، وانطلقت تلك القرقعة الرهيبة ..

قرقعة قوية عنيفة ، تألّقت معها مياه الحوض ، وانتفض لها جسد (بونتى) ، وهو يطلق صرخة مكتومة ، قبل أن تنقبض عضلات جسده كله ، وتتضاعف قوة انتفاضه ، و (نينو) يصرخ فى ذهول مرتاع ، ويلوّح بمسدسه فى حيرة واضطراب :

- ماذا هناك يا دون ؟.. ماذا هناك ؟

ولكن فجأة ، هدأ كل شىء ، وتوقّفت انتفاضات (بونتى) ، واتسعت عيناه وجحظتا على نحو مخيف ، وجسده يتراخى فى الماء ، وقد اسودّ وجهه وانتفخ ، ثم غاص فى الأعماق ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، انتبه (نينو) إلى ذلك الكابل الأسود ، الذى يمتدّ من وحدة توليد الكهرباء ، إلى مياه الحوض ..

وفهم (نينو) ما حدث ..

أدرك أن صاعقة أصابت سيده فى مياه الحوض ، ولم تتركه إلا جثة هامدة ..

أدرك (نينو) هذا ولكن ..

بعد فوات الأوان ..

* * *

جرت الاستعدادات على قدم وساق ، فى قصر (كارلو بتشولا) ، فى ولاية (كاليفورنيا) ، غرب الولايات المتحدة الأمريكية ، كما يحدث عادة ، عندما يعقد (بتشولا) اجتماعه الدورى ، مع مديرى شركاته ومؤسساته ، فى بداية كل شهر ، وبدا الرجل وسيمًا أنيقًا كعادته بقامته الفارهة وجسده الممشوق ، وهو يشرف بنفسه على الاستعدادات والتجهيزات ، ويلقى أوامره لرجاله فى غطرسة صارمة :

ـ انقل هذه اللوحة إلى هناك .. وأنت .. ضع هنا خمسة مقاعد كبيرة ، وانقل هذه المقاعد الصغيرة

للمؤخرة .. هل اختبرت جهاز العرض ؟!.. راجع قائمة الطعام .. هيا .. لماذا تتحركون بهذا البطء الشديد ؟.. هل استأجرتكم من ملجأ للعجزة ، أم من دار للمعوّقين ؟!

وعلى الرغم من أن كلًّا منهم كان يؤدى عمله بمنتهى الدقة والإتقان ، إلا أنه لم يتوقّف عن إبداء غضبه وتبرّمه لحظة واحدة ، ثم لم يلبث أن أشار لسكرتيره ، قائلا فى حدة :

ـ أين علبة السيجار ؟.. ألم آمركم بوضعها فى متناول يدى دائمًا ؟!

تلفّت السكرتير حوله فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـ لقد كانت هنا بالفعل .

صاح به (بتشولا) فى غضب :

ـ وأين ذهبت إذن .. هل تبخّرت ، أم فرّت من هنا ، قبل أن نواجهها بالنيران ؟

أسرع الرجل إلى المكتب ، هاتفا :

ـ سأحضر غيرها يا دون ، فى لحظة واحدة .

كانت علبة السيجار مستقرة على سطح مكتب (بتشولا) بالفعل ، فاختطفها السكرتير بسرعة ، وعاد بها إلى حيث يقف رئيسه ، وهو يتساءل فى حيرة عمن

نقلها من قاعة الاجتماعات إلى المكتب ، ولكنه لم يطل تساؤله ، وهو يفتح العلبة أمام (بتشولا) ، وينحنى فى احترام ، قائلاً :

ـ سيجارك يا دون .

مطَّ (بتشولا) شفتيه ، وهو يلتقط السيجار الكوبى الفاخر من العلبة الفضية ، وقضم طرفه بأسنانه ، ثم بصقه فى أحد الأركان ، وترك الرجال يهرعون لالتقاطه ، وهو يشعل السيجار بقدَّاحته الذهبية ، ويواصل انتقاداته وتوجيهاته ، قائلاً :

ـ هذه اللوحة مائلة هناك .. من أزاح تلك الأريكة من مكانها ؟.. هل أحضر أحدكم زجاجات الشمبانيا ؟!

وسحب نفسًا عميقًا من السيجار ، ونفث الدخان فى الهواء ، وهو يستطرد :

ـ يا لكم من مهملين !.. إنكم تفوقون السلاحف بطئًا ، والبغال عنـ ...

انعقد لسانه بغتة ، وجحظت عيناه ، وانطلقت من حلقه شهقة قوية ، أشبه بصرخة جريح ، وهو يلوِّح بيده ، وكأنه يحاول التشبّث بشىء ما ، فهتف به سكرتيره فى دهشة فزعة :

ـ دون (بتشولا) !.. ماذا أصابك ؟

حدَّق (بتشولا) فى السيجار ، وحاول أن ينطق شيئًا ، ولكن عينيه ازدادتا جحوظًا ، وترنَّح لحظة ، ثم هوى على وجهه ، وارتطم بالأرضية فى صوت قوى ، جعل الجميع يهرعون إليه ، وهم يصرخون :

ـ دون (بتشولا) !.. استدعوا الطبيب .. أسرعوا .

ولكن أحد الرجال فحص (بتشولا) جيدًا ، ثم التقط السيجار ، وشمّ طرفه ، قبل أن يهتف فى انزعاج شديد :

ـ إنه مسموم .

كان الطبيب يعدو قادمًا من بعيد ، قبل أن يكمل حتى ارتداء ثيابه ، ولكن نظرة واحدة من الرجال إلى وجه (بتشولا) ، وعينيه الجاحظتين الجامدتين ، جعلتهم يدركون أنه لم تعد هناك فائدة من وصول الطبيب ، فقد انتهى دون (بتشولا) ..

انتهى إلى الأبد ..

* * *

انطلقت سيارة سوداء فارهة ، بمحاذاة شاطئ (ميامى) ، فى ولاية (فلوريدا) الأمريكية ، وراحت تتجاوز السيارات فى وقاحة مدهشة ، وكأن صاحبها يمتلك المنطقة كلها ، ويكره أن يزاحمه أحد فيها ..

ولكن الأكثر إثارة للدهشة ، أن أحدًا من قائدى السيارات ، المغبونة ، لم ينبس ببنت شفة ، أو يحاول الاعتراض بحرف واحد ، على الرغم من تلك المسارات المجنونة ، التى تتخذها السيارة الفارهة ، والتى تتجاوز كل قواعد المرور وأصول اللياقة ..

هذا لأن الجميع كانوا يعرفون من صاحب هذه السيارة ..

إنه دون (فرناندو جيتزو) ، أثرى أثرياء (فلوريدا) ، وصاحب أكبر استثمارات فيها .

ولكن هذا وحده لم يكن يكفى ليدفع فى قلوبهم كل هذا الخوف ..

لقد كان هناك سبب آخر ..

سبب أكثر خطورة ..

فدون (جيتزو) ، مثله مثل دون (بتشولا) ودون (بونتى) ، واحد من الزعماء الكبار ..

زعماء (المافيا) ..

وفى داخل السيارة الفارهة ، وخلف زجاج مصفَّح معتم ، جلس دون (جيتزو) بشعره الأشيب ، وسنوات عمره التى تجاوزت الستين بعام أو عامين ، يتحدَّث إلى

محاميه الخاص ، داخل ما يشبه الصالون الصغير ، وهو يلوِّح بكفه ، قائلاً :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نعيد التفكير فى استثماراتنا هنا ، فاليخوت والقوارب لا تربح الكثير ، ثم إن نسب البطالة تتضاعف ، و ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، وهو يسأل المحامى :

ـ لماذا تبدو متوترًا هكذا ؟

أجابه المحامى فى ارتباك :

ـ إننا نتحرَّك داخل المدينة وحدنا يا دون (جيتزو) ، بلا حراسة على الإطلاق .. ألا تشعر بالخوف ؟ عشرات هنا يهمهم التخلّص منك .. أعنى من المنظمات المنافسة على الأقل ..

قهقه دون (جيتزو) ضاحكًا ، قبل أن يقول :

ـ أهذا كل ما يقلقك .. اطمئن يا رجل .. لسنا نحتاج إلى الحراسة هنا ، مادمنا داخل السيارة .. هل تعلم كم كلفتنى سيارتى هذه ؟.. ما يقرب من ثلاثة ملايين دولار .

ارتفع حاجبا المحامى فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا له من مبلغ !.. لم أتصوَّر أبدًا أن تبلغ سيارة هذا الثمن .

هزّ (جيتزو) كتفيه ، وقال :

ـ إنه ثمن متواضع يا رجل ، لو علمت أنها مصفّحة بالكامل ، ولا يمكن أن تخترقها قذيفة مدفع مضاد للدبّابات .. حتى زجاجها يحتاج إلى طن من المتفجرات لينهار ، وأرضيتها عبارة عن لوحين من الصلب ، بسمك ثلاثة سنتيمترات ، وحتى إطاراتها لا توقفها الرصاصات ، فهى ليست مجوّفة ، وإنما مصنوعة من مادة خاصة ، تجعلها شديدة المرونة والمتانة فى آن واحد .

ثم عاد يقهقه ضاحكًا ، ويضيف :

ـ إنها تحفة فنية ، لا يمكن أن يخترقها جيش كامل .

جفّف المحامى عرقه ، وهو يغمغم :

ـ لا بأس ، ما دمت تثق بها إلى هذا الحد يا دون .

ابتسم زعيم (المافيا) ، وقال وهو يفتح بارًا صغيرًا داخل السيارة :

ـ اطرح قلقك جانبًا يا رجل .. قل لى : ماذا تفضّل ، لإزالة هذا التوتر ؟.. الفودكا أم المارتين ؟

تمتم المحامى ، ولم يزايله توتره بعد :

ـ الفودكا .

أمسك دون (جيتزو) زجاجة الفودكا ، وجذبها ..

وفجأة ، انتبه إلى أنها أثقل من الزجاجات المعتادة ، فانعقد حاجباه ، وهو يمسك قاعدتها ، قائلاً :

ـ ماذا أصاب هذه الزجاجة ؟!.. إنها تبدو كما لو ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى ارتياع ، عندما انفصلت قاعدة الزجاجة فى يده ، وأطلّ منها جسم يشبه الساعة الرقمية التقليدية ، تمتد منه عدة أسلاك إلى الزجاجة نفسها ..

وصرخ المحامى فى رعب هائل :

ـ قنبلة .. احترس يا دون .

وثبت يده إلى مقبض الباب ، وحاول أن يفتحه ، و ...

ودوى الانفجار ..

دوى داخل السيارة المصفّحة ، التى أثبتت أنها تستحق كل بنس دُفعَ فيها ، فلم يتجاوز الصوت جدرانها قط ..

كل ما رآه أصحاب السيارات المحيطة بها ، هو وميض عنيف داخلها ، ثم كتلة من الدم ارتطمت بزجاجها الأمامى ، وأغرقته تمامًا ، مع انتفاضة قوية ،

استغرقت ثوانى معدودة ، قبل أن تستقر السيارة فى موضعها ..

ومن المؤكَّد أن أحدًا لن يمكنه تمييز جثة دون (جيتزو) من جثة السائق والمحامى ..

هذا لو عثر أى مخلوق على ما يمكن اعتباره جزءًا من جثة .

* * *

قبض (قدرى) أصابعه فى حرص ، وفردهما فى بطء ، أمام عينى طبيبه المعالج ، الذى انهمك بضع دقائق فى فحص الأصابع ، وراحة اليد ، والأنامل ، حتى شعر (قدرى) بالضجر ، فسأله فى شىء من التوتر :

- أهذا أفضل ما يمكن الوصول إليه ؟

رفع الطبيب عينيه إليه ، وعدّل وضع منظاره الطبى فوق أنفه فى بطء وهدوء ، قبل أن يجيب :

- ما زلنا فى بداية العلاج .

هتف (قدرى) محنقًا :

- بداية ماذا ؟! .. إنك تقتطع ساعة كاملة من حياتى يوميًا ، لتدريب أصابعى ، وتنشيط أطرافها العصبية ، منذ أكثر من شهرين ، ثم تقول لى : إننا مازلنا فى بداية العلاج !!

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى الطبيب ، وهو يقول :

- لا تتعجَّل النتائج يا مستر (قدرى) .. نجاة يدك من البتر يعدّ بمثابة معجزة ، وعودتها إلى طبيعتها تحتاج إلى عام كامل من العلاج الطبيعى على الأقل .

أطلّ اليأسُ من عينى (قدرى) ، وهو يومئ برأسه فى أسى ، قائلاً :

- هذا يعنى أنه لن يمكننى العودة لممارسة عملى أبدًا .

أجابه الطبيب فى بساطة :

- هذا يتوقَّف على طبيعة عملك هذا .

تنهَّد (قدرى) ، مغمغمًا :

- إنه عمل شديد الدقة والحساسية .

سأله الطبيب فى اهتمام :

- ألا يمكنك مزاولته بيدك اليسرى ؟

عقد (قدرى) حاجبيه ، وهو يقول :

- لست أعتقد أن العمر يكفى لتدريب اليد اليسرى ، على ما اكتسبته اليمنى ، من طول العمل والتدريب .

ثم رفع يده اليمنى فى وجه الطبيب ، وحرّك أصابعها فى بطء ، مستطردًا :

- هل تعلم أن هذه اليد كانت تصنع معجزات أكثر ، فى العالم الذى كنت أنتمى إليه ، قبل أن يحطمها أحد الأوغاد (*) ؟

عادت الابتسامة الباهتة إلى شفتى الطبيب، وهو يقول :

- وأى عالم هذا ، الذى كنت تنتمى إليه ؟ .. هل كنت تعمل بالفن ؟

صمت (قدرى) لحظات ، ثم ابتسم بدوره ، مجيبًا :

- يمكنك أن تقول هذا .. ولكنه فن من نوع خاص .. خاص جدًا .

أومأ الطبيب برأسه متفهمًا ، قبل أن يقول :

- صدقنى يا مستر (قدرى) .. كل شىء يمكن إنجازه ، لو استخدمنا العقار السحرى ، الذى لا يفشل أبدًا .

بدا التساؤل فى عينى (قدرى) ، وهو يغمغم :

- العقار السحرى ؟!..

اتسعت ابتسامة الطبيب ، وهو ينهض من مقعده ، ويشير إلى (قدرى) ، مجيبًا :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

- نعم .. إرادتك .

قالها وانصرف ، وترك (قدرى) خلفه ، يدير الكلمة فى رأسه ، ويرددها فى أعماقه ، قبل أن يتطلع إلى يده المصابة ، متمتمًا :

- ترى هل ...

لم يتمّ تساؤله ، وإنما هزّ رأسه فى قوة ، ونهض يربّت على كرشه الضخم ، ويتنهّد هاتفًا :

- وكيف تنمو الإرادة مع طعامكم المسلوق ، الخالى من الدسم ؟

مطّ شفتيه متأسيًا ، وغادر حجرة الكشف ، ليقطع ممرات المستشفى الطويلة المتقاطعة ، حتى بلغ قسم الرعاية المركّزة ، وانحرف فى نهايته ، ليتجه إلى قسم الحالات الحرجة ، و ...

وفجأة ، توقّف فى مكانه ، وارتفع حاجباه فى تأثر واضح ، وهو يتطلّع إلى حجرة (منى) ، من خلف جدارها الزجاجى السميك ..

كانت المسكينة غارقة فى غيبوبتها الطويلة ، التى لم تفارقها منذ ذلك الحادث المؤسف فى (لوس انجلوس)(*) وقد اتصلت بجسدها عشرات الأنابيب

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .



لقد كان (أدهم) يجلس إلى جوار فراشها صامتًا ، يتطلعً إلى وجهها في مزيج من الحب والحزن والتعاطف والإشفاق ..

والأسلاك الدقيقة ، وتراصت حولها أجهزة فحص الإشارات المخية والقلبية والعصبية ..

ولكن ما أثار انفعالاته بالفعل ، كان ذلك المشهد ، الذى وقعت عيناه عليه هناك ..

لقد كان (أدهم) يجلس إلى جوار فراشها صامتًا ، يتطلّع إلى وجهها فى مزيج من الحب والحزن والتعاطف والإشفاق ، ويده تحتضن كفها الرقيقة فى حنان غامر ، وكأنه يبثّها هواه ودفء قلبه ، عبر معزوفة صامتة ، تتواصل نغماتها بين القلبين فى نعومة وشفافية ، حتى ولو غرق العقل فى أعمق غيبوبة فى الوجود ..

ولدقائق ثلاث ، تجمّد (قدرى) فى مكانه ، وهو يراقب ذلك المشهد الصامت الساكن ، فى تأثّر عميق ، وعندما انتبه إلى نفسه ، كانت الدموع تغرق وجهه ، وتسيل من عينيه فى غزارة ، فمسحها براحته ، وهو يتقدّم نحو الحجرة على أطراف أصابعه ، وما إن دفع بابها ، وعلى الرغم من أن الباب لم يحدث أدنى صوت ، التفت (أدهم) إليه ، وتطلّع إليه لحظة فى صمت ، ظلّ وجهه خلالها محتفظًا بحزنه وحنانه ، قبل أن يختفى كل

هذا بغتة ، ويغوص فى أعماق (أدهم) ، وهو يبتسم قائلاً :

ـ صباح الخير يا (قدرى) .. كنت فى طريقى إليك ، ولكننى أردت أن ألقى تحية الصباح على (منى) أولاً .

تقدّم نحوه (قدرى) ، وصافحه فى حرارة ، وهو يسأله :

ـ متى وصلت إلى (أمريكا) ؟

أجابه (أدهم) ، وهو يعيد يد (منى) إلى فراشها فى رفق وحنان :

ـ منذ ساعة واحدة .. لقد ألقيت حقيبتى فى الفندق ، وأتيت إلى هنا مباشرة .

تطلّع إليه (قدرى) لحظة أخرى فى صمت ، ثم احتواه بين ذراعيه فجأة ، وهو يهتف :

ـ حمدًا لله على سلامتك .. حمدًا لله .

شعر (أدهم) بمدى تأثّر (قدرى) ، فربّت على كتفه مشجّعًا ، وقاده فى هدوء إلى خارج الحجرة ، وهو يسأله :

ـ كيف حال يدك الآن ؟

تنهّد (قدرى) ، وأجاب :

ـ إنها تتحسّن فى بطء شديد .

ثم تطلّع إليه ، مستطردًا فى تأثّر :

ـ والواقع أننى أدين لك بيدى هذه يا (أدهم) ، فلولا ما أنفقته فى سخاء لما ...

قاطعه (أدهم) بسرعة :

ـ إنك تدين بالفضل للّه (سبحانه وتعالى) وحده يا رجل ؛ فأموال الدنيا كلها لم يكن بقدرتها إنقاذ يدك ، لو لم يكتب لها خالقها الشفاء .

ارتفع حاجبا (قدرى) ، وهو يقول :

ـ ونعم باللّه .. (أدهم) .. أنت .. أنت ...

غلبه تأثّره ، فاختنقت الكلمات فى حلقه ، وارتجفت شفتاه ، و ...

« كنت أعلم أننى سأجدك هنا .. » ..

انبعث ذلك الصوت الأنثوى من خلفهما فجأة ، فالتفتا إليه فى آن واحد ، وتلاشى تأثّر (قدرى) دفعة واحدة ، مع الدهشة التى ملأت نفسه ، وهو يحدّق فى وجه صاحبة الصوت ، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهى تستطرد فى توتر ملحوظ :

ـ أنا فى حاجة إليك .

وكانت هذه هى آخر مخلوق ، يتوقّع (أدهم) رؤيته ، فى هذا المكان ..

كانت (كارولينا) ..

دونا (كارولينا)(*) ..

* * *

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

٢ ـ الزعامة ..

من المؤكّد أن (أدهم) لم ير دونا (كارولينا) قط على هذه الصورة ، من العصبية والتوتر ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، داخل سيارتها الفاخرة ، التى تقطع بهما شوارع (نيويورك) ، فى بطء شديد ، يفرضه الازدحام البالغ ، وتقول ملوّحة بأصابعها :

ـ أنت تعلم أنه عندما نشأت (المافيا) ، فى نهايات القرن التاسع عشر ، فى جزيرة (صقلية) ، كانت تتكوّن من عدد من الرجال الأشداء ، الذين استعان بهم الإقطاعيون ، لإرهاب وتأديب الفلاحين العاملين فى ضيعاتهم ، ولكن هؤلاء الرجال سرعان ما شكلوا تنظيمًا خاصًا بهم ، أطلقوا عليه اسم (الكوزا نوسترا) ، وراحوا يفرضون إرادتهم على الإقطاعيين أنفسهم ، حتى صاروا قوة لا يستهان بها ، وتطوّر اسمهم إلى (المافيا) ، نظرًا لأن كلمة (مافيا) تحمل معنيين جميلين ، فهى باللغة الصقلية الفصحى تعنى الكبرياء وعزة النفس ، وباللغة العامية تعنى الجمال والرشاقة والكمال .. ومع مطلع القرن العشرين ، انتقلت (المافيا) إلى (أمريكا) ، مع المهاجرين إليها ،

وهنا نمت وتطوّرت ، وراحت تفرض حمايتها على أصحاب المتاجر والمطاعم والمقاهى ، مقابل مبالغ كبيرة ثابتة ، ثم لم تلبث أن تحوّلت إلى تهريب الخمور ، والقمار ، والمخدرات ، وعدد آخر من الأنشطة المحظورة (*) .

سألها (أدهم) فى هدوء ، وهو يسترخى فى مقعده :

- ما ضرورة هذه المقدّمة الطويلة يا دونا ؟

انعقد حاجباها الجميلين ، وهى تقول فى توتر :

- إنها مقدّمة ضرورية .. استمع إليها .. أرجوك .

لوّح بيده ، قائلاً :

- لا بأس يا دونا .. أكملى روايتك .. كلى آذان مصغية .

التقطت نفسًا آخر من سيجارتها ، فاستدرك فى صرامة :

- ولكن أطفئى هذه السيجارة ، فأنا أكره رائحة التبغ المحترق .

زفرت فى عصبية ، ثم أطفأت سيجارتها ، قائلة :

- إنك تثير أعصابى بمثاليتك هذه .

(*) حقيقة تاريخية

أجابها فى حزم :

- ولكن من الواضح أنك تحتاجين إليها هذه المرة .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وبدا لحظة وكأنها ستعلّق على عبارته ، إلا أنها لم تلبث أن تابعت حديثها السابق ، وكأن حوارهما لم يكن له وجود :

- وعلى امتداد القرن العشرين ، تضاعف نفوذ (المافيا) وقوتها ، فى كل من (إيطاليا) و (أمريكا) ، ونجحت فى التغلغل فى الأوساط السياسية ، وابتاعت العديدين من رجال الشرطة والقضاء ، وأصبح مجرّد ذكر اسمها يكفى لبث الرعب فى القلوب ، والإشارة إلى القوة الهائلة التى تكمن خلفه ..

ثم تنهّدت فى عمق ، وامتدّت يدها إلى علبة سجائرها ، ثم تراجعت قبل أن تبلغها ، ونفثت الهواء بدلاً من الدخان ، ثم واصلت :

- وفى منتصف السبعينات ، قرّرت (المافيا) أن تنتهج نهجًا جديدًا ، اجتمع من أجله زعماء العائلات(*) ، من كل الولايات الأمريكية ، ثم قرّروا

(*) رجال (المافيا) يطلقون على منظمتهم اسم (العائلة) ، نظرًا لأنها تتكوّن من عدة عائلات صقلية ، ذات جذور معروفة ومترابطة .

القيام بعملية غسيل للأموال القذرة (*) ، ويدعوا فى استثمار أموالهم فى بناء الفنادق الضخمة ، والمطاعم الفاخرة ، والنوادى ، وشركات الإنتاج السينمائى ، وغيرها من المشروعات الكبيرة ، التى صارت ، مع مرور الوقت ، تدرّ أرباحًا هائلة ، قيل عنها يومًا إنها تمثل ثلث عوائد أرباح الاستثمارات ، فى الولايات المتحدة الأمريكية كلها(*) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ وعلى الرغم من هذا ، لم تتوقّف (المافيا) عن أعمالها الإجرامية أبدًا .

أجابته فى عصبية :

ـ فيما يخدم أعمالها فحسب .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يواصل سخريته ، قائلا :

ـ آه .. فهمت .. إذن فأنتم تلجئون إلى الأعمال غير المشروعة ، لحماية الأعمال المشروعة !.. ياله من منطق طريف !

(*) غسيل الأموال القذرة : مصطلح يستخدم للتعبير عن عملية (استثمار الأرباح غير المشروعة ، فى أعمال قانونية مشروعة ، بحيث تنتفى سلطة الشرطة بالنسبة لها تمامًا ، وتدار بأساليب رسمية للغاية .

(**) حقيقية .

هتفت فى عصبية :

ـ أرجوك يا (أدهم) .. الموقف لا يحتمل سخريتك هذه .

بدت عليه دهشة حقيقية هذه المرة ، وهو يسألها :

ـ دونا .. ماذا هناك ؟.. إننى لم أرك قط بهذه الصورة .

خُيِّل إليه أن عينيها ترقرقتا بالدموع ، وهى تجيب :

ـ الموقف خطير يا (أدهم) .. خطير للغاية .

تطلّع إليها لحظة فى صمت حائر ، ثم سألها فى جدية واهتمام :

ـ مم تعانين يا دونا ؟.. أخبرينى كل ما لديك .

ارتجفت شفتاها ، وهى تقول :

ـ لم يعد الحال كما كان يا (أدهم) .. البعض لم يعد يكتفى بالمليارات التى تربحها المنظمة كل عام ، ويطالب بالعودة لمزاولة الأنشطة القديمة ، من قمار وتهريب مخدرات وفساد ؛ لأن هذه الأنشطة تدر عشرة أضعاف ما تدره المشاريع الاستثمارية الشرعية .

قال (أدهم) ، وهو يتطلّع إلى عينيها الدامعتين :

ـ إنه خلاف على مبادئ المنظمة إذن .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ لم يعد الأمر يقتصر على مجرّد خلاف مبادئ يا (أدهم) .. لقد تجاوز هذا إلى مرحلة أكثر خطورة .

وعادت شفتاها ترتجفان فى عنف ، مع استطرادتها :

ـ مرحلة تصفية جسدية .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ وهل بدأ هذا بالفعل ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وأجابت :

ـ نعم .. منذ ثلاثة أيام ، اغتالوا دون (بونتى) ، وأمس الأوّل تم اغتيال دون (بتشولا) ، وأمس لقى دون (جيتزو) مصرعه بطريقة بشعة ، فلم يتبق منه ما يكفى لملء قدح صغير .

سألها فى توتر :

ـ ومن ذلك السفاح ، الذى يريق نهر الدم هذا ؟

أجابته قائلة :

ـ دون (ألبرتو ميديتشى) .. رب عائلة (نيويورك) .. إنه يتزعّم المطالبين بالعودة إلى النشاطات القديمة ، فى حين أتزعّم أنا جبهة الراغبين فى مواصلة العمل الشرعى ، ومن الواضح أن دون (ميديتشى) قد قرّر

تصفية المعارضين ، قبل الاجتماع التالى للمنظمة ، فى بداية الشهر القادم .

قال فى اهتمام :

ـ بداية الشهر القادم ؟!.. هذا يعنى أسبوعًا واحدًا من الآن .

أجابته ، وقد استعادت شيئًا من حزمها :

ـ بالضبط .. ففى هذا الاجتماع سيتم الاقتراع على مطلب العودة للسياسات القديمة ، و (ميديتشى) يعلم أن قوانين العائلة تحتم الموافقة بالإجماع ، على أى قرار بحدوث تعديلات فى المسار ، وهو يسعى لتصفية الأصوات الكبيرة لمعارضيه ، كمحاولة لإرهاب الباقين ، وفرض السياسة القديمة .

سألها (أدهم) :

ـ وكم تبقّى من المعارضين ؟

بدا عليها الحنق لحظات ، قبل أن تجيب :

ـ كان هناك معارضون آخرون ، ولكنهم تراجعوا جميعًا ، بعد أن وصلتهم رسالة (ميديَتشى) غير المباشرة ، ولم يعد هناك سوى صوت معارض واحد .

ورفعت رأسها فى حزم ، مستطردة :

ـ أنا .

أومأ (أدهم) برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ آه .. فهمت لماذا لجأت إلىّ يا دونا .

أجابته فى عصبية :

ـ كلا .. أنت لم تفهم شيئًا بعد .. لست أحتاج إليك لحمايتى من دون (ميديتشى) ، فلدى طاقم ممتاز ، ولقد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة لعدم اختراق نطاقنا الأمنى .

سألها فى ضيق :

ـ ماذا تريدين منى إذن ؟

أدارت عينيها إليه ، وتطلّعت إلى عينيه مباشرة لنصف دقيقة ، قبل أن تجيب :

ـ أريد أن تساعدنى على تدمير دون (ألبرتو ميديتشى) .

انعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، ولاذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم وصرامة ، امتزجا برنة غضب واضحة :

ـ أخطأت العنوان يا دونا .. كان الأجدر أن تستعينى بواحد من قتلتكم المحترفين .

أجابته فى حدة :

ـ دون (ميديتشى) يعرفهم جميعًا .

ثم إنخفض صوتها ، مع استطرادتها :

ـ ثم إننى لا أسعى لقتل دون (ميديتشى) .. إننى أرغب فى تحطيمه فحسب ، بحيث لا تعود كلمته مسموعة فى مجلس العائلة ، ويفقد رهبته ومصداقيته تمامًا .. فلو أننى قتلته ، سيعنى هذا أننى ، وعلى الرغم من رفض العودة إلى الأساليب القديمة ، أميل إلى تطبيقها مع المعارضين ، وهذا سيفقدنى مصداقيتى بدورى ، ولا تعود لزعامتى قيمة .

ردَّد (أدهم) بابتسامة هادئة :

ـ زعامتك !

انعقد حاجباها فى صرامة عجيبة ، لا تتناسب قط مع ضعفها ودموعها ، منذ دقائق مضت ، وقالت فى حزم :

ـ بالتأكيد .. أنت تعلم أنه لم يكن من السهل على الكبار ، فى (إيطاليا) وهنا ، أن يتقبّلوا فكرة صعودى إلى زعامة المنظمة ، باعتبار أننى امرأة ، وطبيعتهم الصقلية تؤمن بأن المكان الوحيد للمرأة هو المنزل ، لرعايته وتربية الأطفال ، الذين تنجبهم من صقلى ضخم الجثة ، اعتاد إطلاق الرصاص بيمينه ، ومسح شعر امرأته فى رفق بيساره ، دون أن يطرف له رمش ..

ولقد بذلت جهدًا هائلاً ، لأثبت للجميع أننى أستحق موقعى هذا ، ولكن هذا لا يمنع أنهم ينتظرون وقوعى فى خطأ واحد ، حتى يطالبوا بعزلى ، وانتخاب زعيم آخر بدلاً منى ، يرضى غرورهم كرجال .

شعر (أدهم) فى أعماقه بشىء من الإعجاب حيالها ، فتراجع فى مقعده بهدوء ، وسألها :

ـ ماذا تريدين منى بالتحديد يا دونا ؟

أجابته فى اهتمام :

ـ أريد منك أن تتسلّل إلى عائلة دون (ميديتشى) ، وتخترق نظامهم الأمنى ، الذى عجزنا نحن عن اختراقه ، حتى تحصل على دليل يدينه بأية تهمة ، أو يثبت تورطه فى عمليات تهريب المخدرات أو تجارة السلاح ، التى انفرد بها ، دون باقى العائلات .. باختصار .. أريد أن يقع فى قبضة الشرطة ، مع دليل دامغ ، لا يسمح لهم بمحاباته ، أو معاونته على الإفلات من العقاب .

صمت (أدهم) لحظات ، وكأنه يدير الأمر فى رأسه جيدًا ، قبل أن يجيب فى هدوء :

ـ ولماذا أفعل هذا ؟!

قالت فى حدة :

ـ لقد تعاونت معك من قبل .. هل نسيت أننى أنقذت صديقتك من ذلك الجزّار البشع فى (روما) ؟!(*) .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أعترف أنك فعلت هذا ، ولكن هذا لا يعنى أن أعمل لحسابك فى المقابل .

قالت فى عصبية شديدة :

ـ ولكنك بتحطيم دون (ميديتشى) تطبّق مبادئك أيضًا .. إننا بتدميره نمنع انتشار الفساد والمخدرات والـ ...

قاطعها فى حزم :

ـ هذا ليس من شأنى يا دونا ، فأنا رجل مخابرات مصرى كما تعلمين ، وولائى كله لوطنى وحده .

التقطت سيجارة فى حدة ، ودسّتها بين شفتيها ، وهى تقول :

ـ ماذا تريد بالضبط يا (أدهم) ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ، وهو يجيب :

ـ نحن نعلم جيدًا أن لكم باعًا طويلاً ، فى التعامل مع (الموساد) ، وسيرضينا كثيرًا أن نحصل على

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) المغامرة رقم (١٠٠) .


التقط الملف ، وهو يبتسم قائلاً فى ثقة :

ـ أسبوع فترة كافية ..

نسخة من كل ملفات تعاملكم معه ، طوال السنوات الماضية .. إننى أعنى نسخة كاملة بالطبع .

انعقد حاجباها فى شدة ، وراحت تدرس الأمر فى عقلها طويلاً ، دون أن تشعل سيجارتها ، ثم قالت :

ـ ومن يضمن لى موافقة رؤسائك بعد هذا ؟

هزَّ كتفيه فى هدوء ، مجيبًا :

ـ المفروض أننى فى إجازة لمدة أسبوعين ، ولن يضيرنى أن أمارس بعض النشاط .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مضيفًا بلهجة ذات مغزى :

ـ على مسئوليتى الخاصة .

فهمت ما يعنيه على الفور ، فقلبت قدّاحتها بين أصابعها لحظات ، ثم أجابت فى حزم :

ـ اتفقنا .

ثم التقطت من جوارها ملفًا كبيرًا ، ناولته إياه ، قائلة :

ـ ستجد هنا كل المعلومات اللازمة عن دون (ألبرتو ميديتشى) ، ولكن تذكّر .. أمامنا أسبوع واحد فحسب .

التقط الملف ، وهو يبتسم قائلاً فى ثقة :

ـ أسبوع فترة كافية ، ليحدث فيها الكثير يا عزيزتى دونا .

وكان على حق تمامًا فى عبارته هذه ، ففى الأسبوع القادم سيحدث الكثير ..
والكثير جدًا .

* * *



٣ ـ الوسيلة ..

عقد مدير المخابرات العامة المصرية حاجبيه فى توتر بالغ ، وهو يطالع البرقية المشفّرة ، التى أرسلها (أدهم) من (نيويورك) ، ثم التفت إلى مساعديه ، قائلاً :

ـ هذا الأمر لا يروق لى أبدًا .

أجابه أحد مساعديه :

ـ أنت على حق يا سيّدى ، فهذه العملية لا تتناسب مع عمل جهاز مخابرات ، وسيادة العميد (أدهم صبرى) يدرك هذا جيدًا ، وإلا ما أرسل البرقية ، فهو يعرض الأمر ، ويشير إلى ما يمكن أن تربحه المخابرات المصرية ، من الحصول على كل الوثائق الخاصة بتعاون (الموساد) مع (المافيا) ، ثم يؤكّد فى الوقت ذاته أنه سيقوم بالمهمة على مسئوليته الخاصة ، ويمكننا أن ننكر أية صلة لنا بها ، لو حدث ما يسىء ..

هزّ المدير رأسه نفيًا فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا أسلوبنا .. إننا لا نتخلّى عن رجالنا قط ، ولا نميل للعمل مع أية منظمات إجرامية .

تنحنح أحد مساعديه ، قبل أن يقول :

ـ معذرة يا سيّدى ، ولكن أفضل ما فى نظمنا هو أنها مرنة ، ويمكنها أن تتكيَّف بسرعة مع تغيّر الظروف والأساليب ، والعبرة فى النهاية بما يمكن أن نحقّقه ، وما يمكننا أن نقدّمه للوطن ، مهما كانت التضحيات ، وفى هذه المهمة لن ينضمّ سيادة العميد (أدهم) لعصابات (المافيا) ، ولن يقدم على أى تصرّف إجرامى ، أو حتى يساعد على القيام به .. بل على العكس .. إنه يسعى لمنع أحد زعماء (المافيا) من العودة إلى النشاطات الإجرامية غير المشروعة ، والتى نعلم كلنا أن آثارها لن تقتصر على الولايات المتحدة الأمريكية ، بل ستمتد حتمًا إلى أجزاء أخرى من العالم ، بما فيها (مصر) نفسها .

تدخّل مساعد آخر ، قائلاً :

ـ هذا يعنى أن مهمة (ن ـ ١) مشروعة ياسيّدى، فهو يسعى لمنع الخطر قبل حدوثه .

اندفع المساعد الأوّل يضيف :

ـ وسيحصل لنا أيضًا على وثائق بالغة الأهمية والخطورة ، ومن المؤكّد أننا سنربح الكثير ، والكثير جدًّا ، من معرفة تفاصيل وأساليب التعاون ، بين منظمة مثل (المافيا) ، وجهاز (الموساد) الإسرائيلى .

عاد المدير يعقد حاجبيه فى شدة بعض الوقت ، وهو يدرس الموقف جيدًا ، قبل أن يتطلّع إلى مساعديه ، قائلاً فى حسم :

ـ فليكن .. أبلغه أن يقوم بالمهمة ، على بركة اللّه .

وكانت هذه هى البداية الحقيقية ..

* * *

مطّ دون (البرتو ميديتشى) شفتيه ، وهو يطالع جريدة الصباح ، فى أثناء تناوله طعام الإفطار ، وأشار بطرف السكين إلى خبر فى صدر الصفحة الأولى ، قائلاً :

ـ مازالوا يهتمون بمصرع (جيتزو) .. يا للسخافة !.. هؤلاء القوم يعشقون رائحة الدم ، ويميلون إلى أخبار القتل والتدمير .

عقد محاميه (جون برنارد) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين أطلق رجل نحيل طويل ، ذو عينين نصف جاحظتين ضحكة ساخرة ، ورفع أصابعه إلى أنفه ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يهتف فى لهجة مسرحية هزلية :

ـ ومن ذا الذى لا يعشق رائحة الدم يا دون (ميديتشى) ؟

ابتسم (ميديتشى) ، وهو يلوك قطعة من الخبز فى فمه ، وقال :

ـ من المؤكّد أنك استثناء يا (آرتى) ، فعشقك للدم يفوق شهية نمر جريح ، ولكنك أسرفت كثيرًا فى تنفيذ عملية دون (جيتزو) .. إنهم لم يعثروا على بقايا له صالحة للفحص .

قهقه (آرتى) مرة أخرى ، وقال فى جذل :

ـ إنها أعظم عملياتى يا دون ، فأنا أعشق تنفيذ كل مهمة بفن خاص .

رمقه المحامى بنظرة عصبية ، قبل أن يقول :

ـ أى فن هذا يا (آرتى) ؟.. إنك مجرّد قاتل محترف .

لوّح (آرتى) بأصابعه ، قائلاً بابتسامة عجيبة :

ـ بالتأكيد يا مستر (برنارد) .. أنا قاتل محترف ، ولكننى قاتل من طراز خاص .. قاتل فنان .. كل عملية عندى لها طابع خاص ، وكل لمسة ...

قاطعه (برنارد) مشمئزًا :

ـ لمسة ؟!

قهقه (آرتى) ضاحكا ، وقال :

ـ نعم .. لمسة سحرية ، تنتزع الحياة من أعماق البشر بأسرع الوسائل ، وأكثرها أناقة وحداثة .

مطّ (ميديتشى) شفتيه ، وقال ملوّحًا بالشوكة :

ـ كفى يا (آرتى) .. إنك تفسد شهيتى .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تقدَّم منه أحد رجاله ، وقدَّم له بطاقة صغيرة ، وهو يقول :

ـ معذرة يا دون (ميديتشى) ، ولكن هذا الرجل يطلب مقابلتك ، ويلحّ فى ذلك إلحاحًا سخيفًا .. هل نسمح له بالدخول ، أم نطرده فى عنف ؟

عقد (ميديتشى) حاجبيه ، دون أن يمدّ يده لالتقاط البطاقة ، فتناولها محاميه بسبّابته وإبهامه ، وقرأ المدوَّن عليها ، قائلاً بصوت مرتفع :

ـ (بل هو راشيو) .. حراسات خاصة للعظماء ورجال الأعمال .

توقَّف (ميديتشى) عن تناول طعامه ، وبدت الدهشة عليه ، وهو يقول :

ـ حراسات خاصة ؟!.. وماذا يريد منى (هوراشيو) هذا ؟

ابتسم (آرتى) فى سخرية ، وقال :

ـ ربما يعرض عليك خدماته يا دون .

ازداد انعقاد حاجبى (ميديتشى) ، واستغرق فى التفكير لحظة ، قبل أن يبتسم قائلاً :

ـ وماذا يضيرنا من بعض المرح فى الصباح ؟

ثم أشار إلى (آرتى) بيده ، مستطردًا :

ـ أحضره يا (آرتى) ، ولكن بعد أن تمرّ به على كل وسائل الأمن لدينا .. نريد أن نلقنه درسًا فى فن الحراسات الخاصة ، قبل أن يصل إلى هنا .

ابتسم (آرتى) ، ولوّح بيده ، قائلاً :

ـ بالطبع يا دون .. بالطبع .

قالها (آرتى) ، واتجه فى خطوات واسعة نشيطة إلى بوّابة القصر ، عبر الحديقة الواسعة ، وهناك وقع بصره على (أدهم) ، الذى يقف إلى جوار طاقم حراسة البوّابة فى هدوء ، فى معطف أنيق ، يطل من واجهته رباط عنق زاهى الألوان .

كانت ملامحه مختلفة تمامًا ، مع تنكره المتقن ، الذى جعله أزرق العينين ، كث الشارب ، له شعر كستنائى يميل إلى الشقرة ، بحيث بدا أشبه بالأمريكيين الذين ينتمون إلى أصول أوروبية ، وظلّ محتفظًا بابتسامة هادئة ، استفزّت (آرتى) ، وجعلته يسأله فى خشونة :

ـ كيف تجرؤ على طلب مقابلة دون (ميديتشى) يا رجل ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ وماذا فى هذا ؟.. إننى أسعى لإثبات ضعف كفاءة رجاله .

انعقد حاجبا (آرتى) فى شدة، وهو يقول فى غضب :

ـ وتظن أنك قادر على هذا .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) فى ثقة ، مجيبًا :

ـ بالتأكيد .

اشتعل الغضب أكثر فى وجه (آرتى)، واندفع فجأة نحو (أدهم)، وجذبه من ياقة معطفه فى عنف، صائحًا :

ـ حسن .. دعنا نرى كيف تفعل هذا أيها المتبجّح !

وأشار إلى طاقم الحراسة ، فانقضوا على (أدهم) ، وراحوا يفتشونه فى غلظة واضحة ، ودقة بالغة ، حتى يتأكّدوا من أنه لا يحمل أية أسلحة ، ثم اقتادوه إلى كوخ صغير ، فى ركن الحديقة ، وهناك فحصوه بالأشعة السينية ، وكاشف الأسلحة ، والترددات فوق الصوتية ، وبعدها لم يعد لديهم أدنى شك فى أنه أعزل تمامًا ، فقال له (آرتى) فى خشونة :

ـ ما رأيك فى وسائل أمننا الآن يا صاح ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ طريفة للغاية !

لم يكن (آرتى) يريد مثل هذا الجواب ، الذى يحمل رنة استهتار واضحة ، فانتزع مسدسه ، وألصقه بجبهة (أدهم) ، قائلاً :

ـ ما الذى يمنعنى من قتلك الآن ؟

لم تبد على (أدهم) بادرة خوف واحدة ، وإنما حافظ على ابتسامته الساخرة ، وهو يجيبه :

ـ أن دون (ميديتشى) ينتظرنى .

كان الجواب بسيطًا مباشرًا ، حتى أن (آرتى) ازداد غضبًا ، وقال فى حدة :

ـ فليكن .. دعنا نذهب إليه يا هذا ، وبعد أن ينتهى منك ، سترى كيف يتعامل (آرتى) مع من يسخرون منه.

هزّ (أدهم) كتفيه لا مباليًا ، واتجه معه فى هدوء إلى حيث يجلس دون (ميديتشى) ، الذى استقبله بنظرة باردة خاوية ، وأشار إلى الخدم لرفع مائدة الإفطار ، ثم أشعل سيجارًا طويلاً ، وهو يقول :

ـ لماذا طلبت مقابلتى يا مستر (هوراشيو) ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ أعتقد أن بطاقتى تحمل الجواب يا دون ، فأنا صاحب مكتب للحراسات الخاصة ، وحماية رجال الأعمال والشخصيات الهامة ، ولما كنت حديث العهد بالعمل لحسابى ، فقد رأيت أن أعرض عليك خدماتى ، ومن يدرى ؟.. ربما أمكننى إقناعك بإسناد مهمة حمايتك الشخصية لى ؟

حدّق (ميديتشى) فى وجهه لحظة فى دهشة ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكًا ، وانفجر معه كل رجاله ، فيما عدا المحامى (برنارد) ، الذى عقد حاجبيه فى شدة ، وراح يتطلّع إلى وجه (أدهم) فى اهتمام شديد ، ويتفرّس ملامحه جيدًا ، وظلّ هذا الأخير هادئًا مبتسمًا ، حتى انتهت موجة الضحك الهستيرية ، وقال (ميديتشى) :

ـ ألم تجد سواى لتعرض عليه خدماتك يا مستر (هوراشيو) ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ بلى يا دون ، وأعتقد أننى كنت على حق تمامًا ، عندما فكّرت فى هذا ، فبعد كل ما رأيته هنا ، تأكّدت من أنك بحاجة إلى حماية حقيقية .

مرة أخرى ، انفجر الجميع فى موجة ضحك جديدة ، ثم ألصق (آرتى) مسدسه بصدغ (أدهم) ، هاتفًا فى سخرية :

ـ هل أنسف رأسه يا دون ؟

أشار إليه (ميديتشى) بأصابعه ، قائلاً :

ـ انتظر قليلاً يا (آرتى) .. دعه يشرح لنا أولاً أوجه القصور فى نظامنا الأمنى الدقيق .

أجابه (أدهم) فى بساطة :

ـ الأمر بسيط للغاية يا دون ، فلديكم بالفعل ثغرة ضخمة من نظامكم الأمنى .

سأله المحامى هذه المرة ، وفى جدية بالغة :

ـ وما هى ؟

فجأة ، انحنى (أدهم) فى خفة ، وتحركت قبضته لتهوى على فك (آرتى) كالقنبلة ، ثم وثبت قدمه تركل مسدس هذا الأخير ، وقبل أن يستوعب أحد رجال (ميديتشى) هذه المفاجأة ، كان (أدهم) قد التقط مسدس (آرتى) فى الهواء ، ثم قفز يحيط عنق (ميديتشى) بساعده القوى ، وهو يلصق فوهة المسدس بمؤخرة عنقه ، ويجذب إبرته ، قائلاً :

ـ أرأيت يا دون (ميديتشى) ؟.. لو أننى انتحارى مكلَّف مهمة قتلك ، لكنت الآن جثة هامدة بالفعل .

امتقع وجه (ميديتشى) فى شدة ، وصرخ (آرتى) فى غيظ :

ـ اللعنة !

فى حين تحرَّك المحامى حركة عنيفة ، جعلت مقعده ينزلق بعيدًا ، وقدميه تضربان الهواء ، واستلّ الرجال أسلحتهم ، ولكن (أدهم) أضاف بسرعة ، بلهجة آمرة صارمة :

ـ مر رجالك بإلقاء أسلحتهم يا دون .

صاح (ميديتشى) فى سرعة :

ـ ألقوا أسلحتكم .

تردَّد الرجال لحظة ، ثم ألقوا أسلحتهم فى حنق ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وأزاح فوهة المسدس بعيدًا ، وهو يحلّ ساعده عن عنق الرجل ، قائلاً :

ـ أرأيت يا دون ؟.. لم يكن هذا عسيرًا .

ولثانية أو ثانيتين ، بدا دون (ميديتشى) غاضبًا ساخطًا ، ولكنه لم يلبث أن انفجر فجأة مقهقهًا ، وصاح ملوِّحًا بذراعيه كالأطفال :

ـ رائع .. لقد فعلها .

ثم استدار إلى (أدهم) ، وشدّ على يده فى حرارة ، مستطردًا :

ـ أهنئك يا رجل .. لقد نجحت فى إبهارى .

هتف المحامى فى دهشة مستنكرة :

ـ دون (ميديتشى) ؟!

أما (آرتى) ، فصاح فى غضب :

ـ ماذا تقول يا سيِّدى ؟

أجابه (ميديتشى) فى صرامة :

ـ أقول : إن هذا الرجل كشف بالفعل أحد أوجه القصور فى نظامنا الأمنى ، فلقد فتشتموه جيدًا ، ولم تعثروا معه على أية أسلحة ، ولكن هذا لم يمنعه من السيطرة على الموقف كله .

هتف (آرتى) محنقًا :

ـ إنه محتال يا دون .. أنت الذى وافقت على مقابلته .

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ ولكنه لم يطلب منك أن توقفنى على مسافة متر واحد منه ، ولم يأمرك بتصويب مسدسك إلىَّ ، من هذه المسافة القريبة ، التى سمحت لى باختطافه .. ماذا كنت ستفعل ، لو أننى أحد خبراء الكاراتيه أو التايكوندو ، ممن تستطيع قبضتهم شج رأس دون (ميديتشى) بضربة واحدة ؟!



وأزاح فوهة المسدس بعيدًا ، وهو يحلّ ساعده عن عنق الرجل ..

احتقن وجه (آرتى) فى شدة ، فصاح به (ميديتشى) :

- نعم .. ماذا كنت ستفعل ؟

ازداد انعقاد حاجبى المحامى ، وامتزج الشكّ بالقلق والحذر فى ملامحه ، وهو يتطلّع إلى (أدهم) ، الذى قال فى بساطة ، وهو يضع مسدسه فى قبضة (ميديتشى) :

- كان المفروض أن يقف أحد الرجال الأشداء بينى وبين دون ، وأن أقف على مسافة لا تقلّ عن ثلاثة أمتار منه ، فى حين يصوّب إلى الرجال أسلحتهم من بعيد ، ومن زوايا مختلفة ، و ...

قاطعه دون (ميديتشى) فى صرامة :

- مهلاً يا رجل .. لقد قلت : إنك نجحت فى إبهارى ، وليس فى إقناعى .

سأله (أدهم) فى سرعة :

- ماذا تعنى يا دون ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

- أعنى أنه بإمكانك أن تبهرنى بمهارتك وذكائك ، ولكن من العسير جدًا أن تقنعنى بقدرتك على حمايتى ،

بأفضل مما يفعل رجالى .. صحيح أنك كشفت لنا عيبًا خطيرًا فى نظامنا الأمنى ، ولكن هذا لا يعنى أنك الأفضل .. لن نكرّر هذا الخطأ ثانية ، وسنسد الثغرة فى نظم الأمن ، ولكننا لن نمنحك ثقتنا بسهولة .

قال (أدهم) فى هدوء مستفز :

- كان بإمكانى قتلك منذ لحظة واحدة يا دون ، لو أن هذا غرضى .

أجابه (ميديتشى) ، وهو يشير بيده فى حزم :

- ضربة حظ يا رجل ، ولن تتكرّر ثانية أبدًا .

قال (أدهم) فى سرعة :

- هل تراهن ؟!

ارتفع حاجبا (ميديتشى) فى دهشة ، وهو يهتف :

- أراهن ؟!

لوّح (أدهم) بسبّابته ، قائلاً :

- نعم يا دون (ميديتشى) .. إننى أراهنك على استطاعتى اختراق جهازك الأمنى مرة أخرى ، والوصول إليك أينما كنت ، داخل قصرك المنيع هذا ، وعلى الرغم من أية احتياطات تتخذها .

كان تحديًا استفزازيًا بالفعل ، حتى أن (ميديتشى) ورجاله حدّقوا فى وجه (أدهم) بدهشة غير مصدّقة ، فى حين هبّ (برنارد) من مقعده فى توتر ، هاتفًا :

ـ حذار يا دون .. هذا الرجل يستدرجك إلى أمر ما .
أشار إليه (ميديتشى) فى صرامة ، قائلاً :
ـ اصمت يا (برنارد) .
ثم نهض يواجه (أدهم) ، مستطردًا :
ـ إننى أقبل الرهان .
ارتفع حاجبا (آرتى) فى دهشة ، لم تلبث أن تحوّلت إلى غضب هادر ، وهو يهتف :
ـ ماذا تقول يا دون ؟
صاح به (ميديتشى) فى صرامة :
ـ ما سمعته يا (آرتى) .. إننى أتحدّى هذا الرجل ، وأطالبه بإثبات أنه كفء لعمله .
هتف المحامى معترضًا :
ـ لست أوافق على هذا قط يا دون .
صرخ (ميديتشى) فى وجهه :
ـ ومن طلب رأيك أو موافقتك يا رجل ؟.. إنه أمر يخصنى وحدى ، وأنا صاحب القرار فيه .
تراجع المحامى محنقًا ، ورمق (أدهم) بنظرة غاضبة ، شاركه فيها (آرتى) ، الذى يتميّز غيظًا ، فى حين بدا (أدهم) هادئًا مبتسمًا ، و (ميديتشى) يستطرد فى حزم وصرامة :

ـ قبلت رهانك يا مستر (هوراشيو) .. سأشرف بنفسى الليلة على كافة إجراءات ونظم الأمن ، وعليك أن تثبت جدارتك قبل منتصف الليل ، ولو فعلت ، سأتعاقد معك لحمايتى ، وسأجعلك حارسى الخاص .
هتف (آرتى) فى ذعر مستنكر :
ـ دون (ميديتشى) ؟!
ولكن الرجل أشار إليه فى صرامة ، وهو يتابع :
ـ أما لو فشلت ، فلن تجد بقعة واحدة فى الأرض كلها ، تصلح للاختباء منى .. سأعثر عليك أينما كنت ، و ...
بتر عبارته ، وهو يشير بسبَّابته إلى عنقه ، فى حركة واضحة المعنى والمغزى ، ولكن ابتسامة (أدهم) لم تتلاش ..
لقد كان يدرك أنه دسّ كفه بإرادته فى جحر الثعبان ، وأن عليه أن يتحمّل النتائج ..
كل النتائج .

* * *

٤ ـ نظم الأمن ..

« أنت مجنون حتمًا !.. »

صرخت دونا (كارولينا) بالعبارة ، فى دهشة تمتزج بالحنق ، فى وجه (أدهم) ، الذى ظلّ هادئًا مبتسمًا ، يتطلّع إليها فى صمت ، وهى تستطرد محتدّة :

ـ كيف تتحدّى دون (ميديتشى) على هذا النحو ؟!.. إنك لن تنجح فى الوصول إليه مرة ثانية قط ، ومن حسن حظك أنه لم يقتلك فى المرة الأولى ، ولو أننى فى مكانه لفعلت .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ خطأ يا دونا .. دون (ميديتشى) ما كان ليقتلنى قط ، بعد ما فعلته معه ؛ فكل تصرفاته السابقة ، طوال عمره ، تشير إلى أنه مقامر من الطراز الأوّل ، ثم إنه ينبهر حقًا بأصحاب المواهب الخاصة ، وربما كان هذا سر ارتباطه بذلك القاتل الدموى (آرتى) ، ولقد أثرت فى أعماقه شهوتى المغامرة والمقامرة ، وفضول الرغبة فى سبر أغوارى ، وكشف قدراتى الحقيقية .

هتفت محنقة :

ـ وتتبع حقيقتك أيضًا .. لقد أعطيته اسمًا وعنوانًا ،

فهل تظن أنه سيكتفى ببطاقتك ، ويتعامل مع بياناتها باعتبارها حقائق مجرَّدة ؟!

أجابها بسرعة :

ـ مطلقًا .. إنه سيرسل رجاله خلفى حتمًا ، وسيحاول جمع أكبر قدر من المعلومات عن (بل هوراشيو) .

حدّقت فيه بدهشة مستنكرة ، قبل أن تهتف :

ـ ألا يقلقك هذا ؟

هزّ رأسه نفيًا فى هدوء ، ولم تفارقه ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ـ المهم الآن أن نناقش الخطوة التالية ، بعد وصولى لحجرة (ميديتشى) ، وإقناعه بإسناد مهمة حمايته الشخصية لى .

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ مهلاً .. إنك تتجاوز أخطر نقطة فى الأمر كله ، وكأنها قضية مسلّم بها .. كيف يمكنك الوصول إلى (ميديتشى) ، على الرغم من سياج الأمن حوله ، ومن الترتيبات الإضافية ، التى ستتخذ حتمًا ، بعد تحديك له .

استرخى فى مقعده ، وأجابها فى هدوء مستفز :

- لا يوجد جهاز أمنى خال تمامًا من الثغرات ، مهما بلغت دقته .

قالت فى عصبية :

- هذا صحيح نظريًا ، ولكننا درسنا نطاق الأمن المضروب حول قصر (ميديتشى) ألف مرة ، طوال الأسبوع الماضى ، وأيقنا من أن اختراقه مستحيل تمامًا .. إنه لا يقتصر على الأسوار العالية المكهربة ، وكلاب الحراسة المتوحشة ، وجيش رجال الحراسة المحيط به ، ولكنه أيضًا يستخدم رادارًا لحماية مجاله الجوى ، وأجهزة فحص حرارى للمنطقة المحيطة بالقصر ، وآلات تصوير منتشرة فى كل ركن .. باختصار .. لا يمكن حتى للنملة اختراق نظم حراسته وأمنه .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

- أحيانًا ينجح الفيل فيما تفشل فيه النملة .

انعقد حاجباها الجميلان ، وهى تسأله :

- ما الذى تعنيه بهذا ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- ستعرفين كل شىء فى موعده يا دونا .. فى موعده تمامًا .

وفى هذه المرة ، بدت لها ابتسامته شديدة الثقة .. وشديدة الغموض ..

* * *

ألقى (برنارد) نظرة متوترة على ساعة يده ، قبل أن يزفر فى توتر ، قائلاً :

- الأمر لا يروق لى أبدًا يا دون .. أنت تجازف بلا مبرر .

ابتسم (ميديتشى) فى جذل ، وهو يسترخى فوق مقعده الوثير ، خلف مكتبه الضخم ، ويقول فى نشوة عجيبة :

- وما وجه المجازفة يا عزيزى (برنارد) ؟!.. كل ما فى الأمر أننى تحدّيت شخصًا ما أن ينجح فى تجاوز كل نظم الأمن ، والوصول إلىّ مباشرة ، ولو نجح فى هذا فسيعنى الأمر أنه توجد ثغرة فى نظامنا الأمنى بالفعل ، أما لو فشل ، فلن نخسر شيئًا .

لوّح المحامى بيده ، قائلاً :

- ولكنك تجهل تمامًا هوية هذا الشخص يا دون ، ولا يمكنك الاعتماد على بيانات بطاقة ، قدّمها لك بنفسه .

أجابه (ميديتشى) فى ثقة :

ـ ومن قال إننى فعلت ؟
وجذب ملفًا من أمامه ، مستطردًا :
ـ مشكلتك أنك تفكّر وتتعامل كمحام راق يا (برنارد) ، وتتصوّر أن الجميع ينتهجون النهج نفسه فى تعاملاتهم ، ولكن الحقيقة أنك غِرّ ساذج .
هتف المحامى مستنكرًا :
ـ أنا ؟!.. أنا غِرّ ساذج يا دون ؟!.. قل لى إذن كيف أربح كل قضاياك الشائكة ، على الرغم من سيل الأدلة ، الذى يتركه رجالك خلفهم ؟!.. ألا تعلم أنهم يطلقون علىّ اسم ثعلب المحاماة ؟!
أطلق (ميديتشى) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :
ـ ربما يكون هذا صحيحًا بالنسبة لساحات القضاء يا (برنارد) ، ولكنك تفتقر إلى الخبرة اللازمة للعمل فى ساحتنا نحن .
انعقد حاجبا المحامى فى غضب ، ولكن (ميديتشى) فتح الملف ، وقرأ بصوت مسموع :
ـ الاسم (ويليام كلاوس هوراشيو) .. أربعون عامًا .. مهاجر يوغسلافى ، حصل على شهادة من مراكز التدريب الأمنى ، تتيح له ممارسة مهنة المخبر الخاص ، والقيام بالحراسات المتميّزة .. أعزب .. لا يُدخن السجائر أو يشرب الخمور .

ثم رفع عينيه إلى المحامى ، مستطردًا فى سخرية :
ـ هل تحب أن أخبرك برقم بطاقة التأمين الاجتماعى ورخصة القيادة ؟
سأله المحامى فى توتر :
ـ من أين حصلت على هذه المعلومات يا دون ؟
لوّح (ميديتشى) بالملف ، قائلاً :
(أمريكا) أصبحت تعتمد على شبكات الكمبيوتر والمعلومات الآن يا رجل ، ومن السهل أن تحصل على كل ما تريد ، دون أن تغادر مقعدك .. المهم أن تعرف وسيلة الدخول إلى عالم المعلومات ، وفى هذا المضمار ، النقود تفتح كل الأبواب المغلقة يا صاح .
ازداد انعقاد حاجبى المحامى ، وكأنما لم يرق له ما سمعه ، ثم ألقى نظرة على ساعته ثانية ، قبل أن يقول :
ـ فليكن يا دون .. استخدم الوسيلة التى تروق لك ، ولكن المهم أن تضاعف من حذر رجالك هذه الليلة بالذات ، حتى لا تخسر رهانك .
ابتسم (ميديتشى) فى ثقة ، قائلاً :

- اطمئن يا عزيزى (برنارد) .. (آرتى) ضاعف الإجراءات ثلاث مرات على الأقل ، فهو غاضب للغاية ، ويعتبرها مشكلة شخصية ، وسيبذل قصارى جهده لمنع (هوراشيو) هذا من الوصول إلى هنا ، حتى ولو اضطر لنسفه نسفًا .

تطلّع إليه المحامى لحظة فى توتر قلق ، ثم أومأ برأسه ، مغمغمًا :

- فليكن .. إنها الحادية عشرة والنصف الآن ، وما هى إلا نصف الساعة ، ونعرف بالضبط ما إذا كان (هوراشيو) هذا عبقريًّا ، أم أنه مجرد متحذلق كبير .

قالها وملامحه تحمل الكثير من القلق الممتزج بالشك ..

الشك بلا حدود ..

* * *

« وصلنا إلى الهدف .. »

نطق قائد الطائرة العبارة ، وهو يحلّق على ارتفاع كبير للغاية ، فوق قصر دون (ميديتشى) ، ثم ألقى نظرة قلقة على (أدهم) ، الذى يثبت مظلّته خلف ظهره فى إحكام ، وسأله :

- هل يمكنك حقًّا القفز من هذا الارتفاع ؟

سأله (أدهم) فى بساطة :

- وما المانع من هذا ؟

أجابه الطيَّار ، فى شىء من العصبية :

- المانع أننا على ارتفاع شاهق ، ولا أحد يمكنه السيطرة على اتجاهه ، مع هذه المسافة الضخمة .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يحمل حقيبة صغيرة ، ويوصلها بمظلّة ثانية :

- لا تقلق نفسك بهذا الأمر .. خذ دورة أخرى ، ثم افتح باب القفز .

سأله الطيَّار ، وهو يبدأ دورته الثانية بالفعل :

- هل تعلم أنه هناك رادارًا كبيرًا ، فوق قصر دون (ميديتشى) ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. أعلم .. ولكنه رادار تقليدى ، لن يمكنه رصد طائرتك ، من هذا الارتفاع الكبير .

أجابه الطيَّار فى حدة :

- ولكنه حسَّاس ، للحد الذى يمكنه معه التقاط عملية هبوطك ، بالمظلّة فوق القصر .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- أعلم هذا .

هتف الطيّار فى دهشة :

ـ تعلم هذا ؟!.. كيف ستقفز إذن ؟!.. إنهم سيستقبلونك بوابل من الرصاصات ، كفيل بتحويلك إلى مصفاة ، قبل أن تلمس قدماك الأرض .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ قلت لك : لا تقلق نفسك بالأمر .. والآن .. افتح باب القفز .

نطق العبارة الأخيرة بصوت مرتفع ، ولهجة حاسمة آمرة ، جعلت إصبع الطيّار يقفز فى آلية إلى زر فتح الباب ، وانبعثت طرقعة مكتومة فى المنطقة الخلفية من الطائرة ، عندما انفتح الباب ، وهبط الضغط على نحو مباغت ، وأسرع الطيار يضع قناع الأكسجين على أنفه وفمه ، هاتفًا :

ـ حذار أن ..

ولكنه لم يتم عبارته ..

أو بمعنى أدق : لم يجد حاجة لهذا ..

لقد وثب (أدهم) بالفعل ..

وضغط الطيّار بسرعة زر إغلاق الباب ، وترك الضغط يتعادل ثانية داخل الطائرة ، وهو يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا له من رجل !

فى نفس اللحظة ، كان جسد (أدهم) يخترق الهواء بسرعة مدهشة ، تتناسب مع عجلة الجاذبية الأرضية ، وهو يمسك الحقيبة فى قوة ..

كان يتشح بالسواء ، منِ قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ؛ فقد ارتدى سروالا أسود وسترة سوداء ، وأخفى رأسه كله داخل قناع أسود ، لا يبرز سوى عينيه وطرف أنفه ..

وبعد أقل من ثلاث ثوان ، تجاوز السحب ، واتضحت له معالم المدينة ، بأضوائها الكثيرة ، ومال بجسده فى مهارة وحنكة ، ليدفعه ضغط الهواء نحو البقعة التى حدَّدها مسبقًا ..

نحو قصر دون (ميديتشى) ..

وراحت الأمتار تنخفض فى سرعة كبيرة ، وجسده يقترب ويقترب من الأرض ..

كان يجازف بشدة ، بعدم فتح مظلته ، وهو يقترب على هذا النحو ، ولكنه تجاهل هذا تمامًا ، وفتح الحقيبة ، وراح يعدّ ما بها ، وصورة القصر تتضح أكثر وأكثر ..

وداخل القصر نفسه ، وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية عشرة إلا تسع دقائق ، قبيل منتصف الليل ، هتف مراقب الرادار فجأة :

- جسم يقترب من أعلى .

قفز (آرتى) إليه ، وحدّق فى الشاشة لحظة ، ثم استلّ مسدسه ، وجذب مشطه فى عصبية ، وهو يقول :

- بمظلة !.. يا للسخافة !.. هذا عمل يخلو من الفن تمامًا أيها المتحذلق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار مكتوم فى السماء ، على ارتفاع كبير ، وحدثت شوشرة عنيفة ، أفسدت عمل الرادار تمامًا ، فصاح (آرتى) :

- يا للوغد !

ثم اندفع إلى الحديقة ، صارخًا :

- استعدوا لاستقبال مظلّى معتوه .. أمطروه بالرصاصات ، قبل أن يبلغ الأرض .. أريده صريعًا .

لاح له الجسم الأسود ، وهو يهبط بمظلة كبيرة ، فى الركن الغربى للقصر ، فأشار إليه ، صائحًا :

- ها هو ذا .

كانت هذه الإشارة هى كل ما ينتظره رجاله ، الذين انطلقوا كالوحوش نحو البقعة ، التى ستهبط فيها المظلة . وارتفعت فوهات مدافعهم الآلية إلى السماء ، وانطلقت الرصاصات فى سخاء مدهش ، وبدوى يصمّ الآذان ، فصرخ (برنارد) فى مكتب (ميديتشى) :

- ماذا حدث ؟!.. هل انفتحت أبواب الجحيم ؟

هبّ (ميديتشى) من خلف مكتبه ، وهو يهتف فى انفعال :

- الانفجار المكتوم فى السماء ، ثم دوى الرصاصات .. نعم يا رجل .. لن تجد وصفًا أفضل من هذا .. لقد انفتحت أبواب الجحيم على مستر (هوراشيو) .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد .

- من الواضح أننا ربحنا الرهان يا رجل .

وألقى نظرة على ساعته ، التى أشارت عقاربها إلى الثانية عشرة إلا دقيقة واحدة ، واندفع إلى البار الصغير فى مكتبه ، مضيفًا فى جذل :

- أخبرنى يا عزيزى (برنارد) .. ما الذى تفضله للاحتفال بهذا الانتصار .. مارتينى أم فودكا ؟

اقترب (برنارد) من النافذة ، محاولاً استشفاف ما يدور فى الخارج ، وهو يغمغم فى قلق لم يزايله بعد :

- لم يحن وقت الاحتفال بعد يا دون .. مازالت أمامنا دقيقة كاملة .

قهقه (ميديتشى) ضاحكًا فى ظفر ، وقال وهو يصب لنفسه كأسًا من الفودكا :


وفى اللحظة التالية مباشرة ، اخترق (أدهم) زجاج النافذة ، وقفز داخل الحجرة ..

ـ دقيقة واحدة لن تصنع فارقًا كبيرًا يا عزيزى (برنارد) .. مادام رجالى قد كشفوا محاولة مستر (هوراشيو) للدخول ، فيمكنك أن تعتبر الأمر منتهيًا ، فلن ..

بتر عبارته بغتة ، عندما أطلق (برنارد) شهقة عنيفة ، وقفز مبتعدًا عن النافذة ، وهو يصرخ :

ـ يا للشيطان !

وفى اللحظة التالية مباشرة ، اخترق (أدهم) زجاج النافذة ، وقفز داخل الحجرة ، ثم تدحرج بمرونة مذهلة ، ووثب واقفًا على قدميه ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنق دون (ميديتشى) ، قائلاً وهو يجذب إبرته :

ـ خسرت يا دون .

امتقع وجه (ميديتشى) ، وسقطت الكأس من يده ، فتحطَّمت عند قدميه ، وتناثرت محتوياتها ، و (أدهم) يقول ساخرًا :

ـ هذا أفضل ، فالخمور ضارة بالصحة .

كان الذهول مرتسمًا على ملامح (ميديتشى) بشدة ، وشاركه فيه المحامى ، الذى نهض ينفض شظايا الزجاج عن حلته الفاخرة ، هاتفًا :

- كيف .. كيف فعلتها ؟

ومع آخر حروف كلماته ، اقتحم (آرتى) الحجرة ، مع طاقم أمنه ، وهو يهتف :

- دون .. لقد خدعنا هذا الـ ...

اتسعت عيناه فى ذهول ، وغُصّ حلقه بباقى العبارة ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، الذى خلع عن رأسه القناع الأسود ، وألصق فوهة مسدسه أكثر بعنق (ميديتشى) ، قائلاً فى سخرية :

- معذرة .. هل يضايقك وجودى يا عزيزى (آرتى) ؟

بذل (آرتى) جهدًا خرافيًّا ، للسيطرة على مشاعره ، إلا أنه لم يهتف سوى بكلمة واحدة :

- اللعنة !

أما (ميديتشى) نفسه ، فقد ازدرد لعابه فى صعوبة بالغة ، وسأل (أدهم) فى صوت متحشرج مبحوح :

- كيف فعلت هذا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

- لم يكن الأمر عسيرًا يا دون .. لقد استعنت بطائرة كبيرة ، وقفزت بالمظلة من ارتفاع شاهق .

سأله (ميديتشى) متوترًا :

- وكيف لم يرصدك الرادار ؟

أجابه (أدهم) :

- لقد فعل ، ولكننى عندما بلغت ارتفاعًا محدودًا ، ألقيت فى الهواء قنبلة بسيطة الصنع ، تحوى مئات الرقائق المعدنيّة ، التى تناثرت فى الجو ، فأفسدت عمل الرادار ، وفى اللحظة نفسها ألقيت دمية ثقيلة نحو الركن الغربى للقصر ، ومعها جهاز توقيت خاص ، لتنفتح مظلتها على ارتفاع مائة متر ، فى حين فتحت أنا مظلتى على الفور ، وبدأت أعمل على توجيه نفسى إلى الركن الشرقى ، ومع التوتر والانفعال ، نسى رجالك كل قواعد الحذر والأمن ، وبدءوا فى ارتكاب الأخطاء بالجملة :

أولاً - تركوا مواقعهم كلها فى آن واحد ، واتجهوا بكل أسلحتهم ، وانتباههم ، وكلاب حراستهم ، نحو الركن الغربى للقصر ، حتى أنه كان من الممكن لكتيبة كاملة أن تخترق الجانب الشرقى فى أمان تام ..

وثانيًا - أنهم أطلقوا النار فى غزارة وسخاء ليس لهما من مثيل ، وبدوى عنيف ، يكفى للتغطية على ضجيج اقتحام دبّابة للأسوار ، ثم أنهم لم ينتظروا هبوط

ذلك الجسم ، لفحصه على الأقل ، بل أمطروه برصاصاتهم فى الهواء ، وكان من المحتمل أن يحوى عبوة ناسفة ، تطيح بهم جميعًا ..

وثالثًا ـ لقد تركوك تجلس فى مكتبك ، والأضواء تغمرك ، أمام زجاج نافذة كبيرة ، بحيث يستطيع قنّاص ماهر أن يقتلك ، من مسافة نصف ميل ، باستخدام بندقية بعيدة المدى ..

باختصار .. رجالك لا يفقهون شيئًا فى قواعد الأمن ، فهأنذا هنا ، على الرغم من كل ما اتخذوه من احتياطات ، وكل ما أحتاج إليه للقضاء عليك هو ضغطة زناد .

قالها وهو يقرن قوله بالفعل ، ويضغط زناد المسدس ، فانتفض جسد (ميديتشى) فى عنف ، وصرخ المحامى هلعًا :

ـ لا ..

ولكن المسدس لم يُطلق رصاصة واحدة ، وإنما انبعثت منه تكة معدنية مكتومة ، قبل أن يخفضه (أدهم) ، قائلاً :

ـ والآن يا دون .. أأنت مستعد لتوقيع العقد ؟

ران على المكان صمت مطبق لثوان معدودة ، ثم

انفجر (ميديتشى) ضاحكًا ، على نحو أثار حنق (آرتى) ، الذى صاح ، وهو يصوّب مسدسه إلى (أدهم) فى غضب :

ـ هذا الرجل يستحق القتل يا دون .

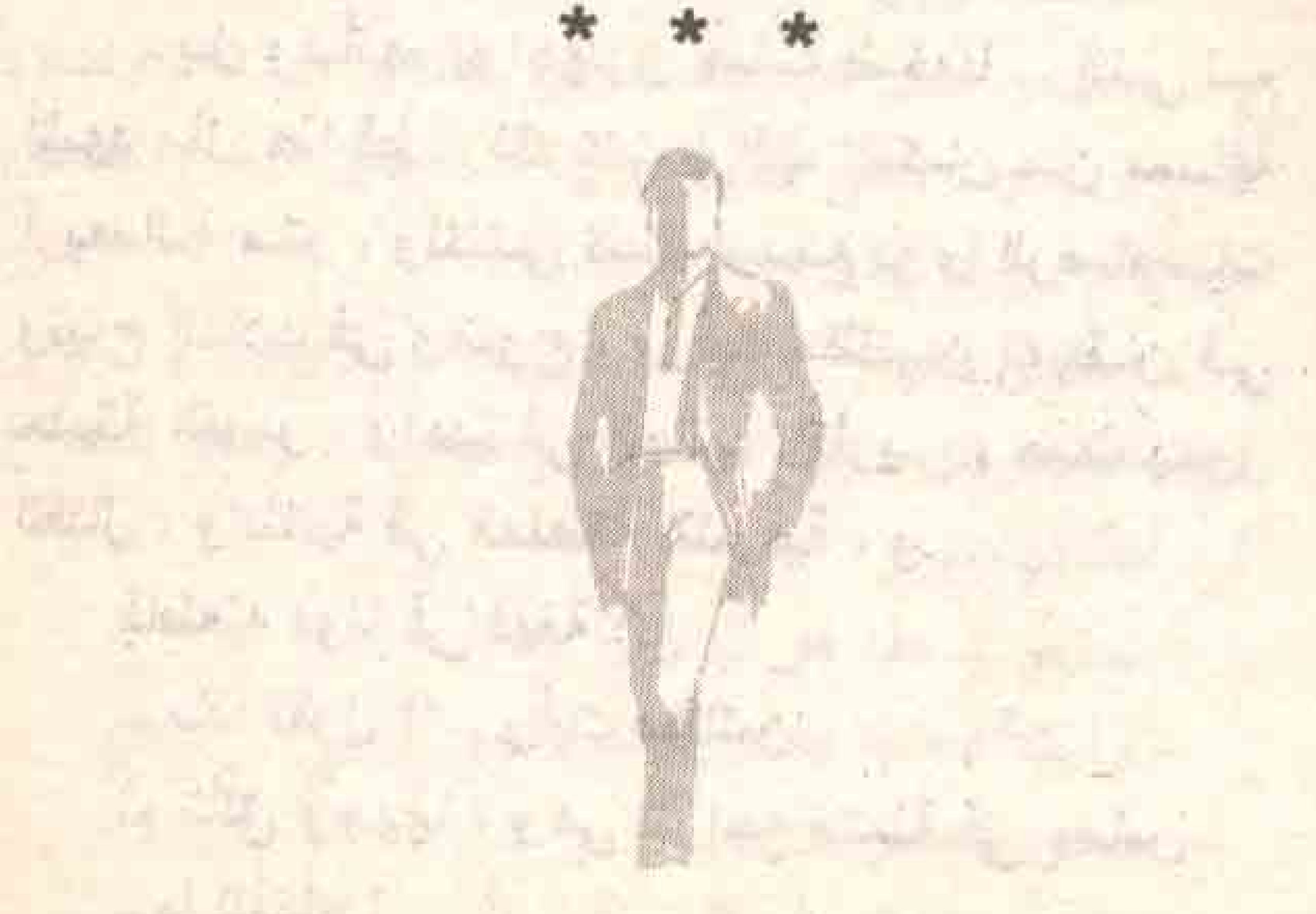
صاح به (ميديتشى) فى صرامة :

ـ إياك أن تفعل ، وإلا ..

ولم يتمّ (ميديتشى) عبارته ، فقد ضغط (آرتى) زناد مسدسه بالفعل ، و ...

وانطلقت الرصاصة ..

* * *



٥ ـ الضربة ..

نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها فى توتر بالغ ، وراحت تنقر بأصابعها على سطح المنضدة فى عصبية ، وهى تسأل أحد رجالها :

ـ إذن فقد غمر رجال (ميديتشى) السماء برصاصاتهم ، وتحركوا فى عنف متوتر ، وكأن قوة اقتحمت القصر !

أجابها الرجل فى انفعال :

ـ بل وكأنهم يواجهون جيشًا ضخمًا .. إننى لم أشهد مثل هذا قط .. لقد كنت أراقب المكان من مسافة أربعمائة متر ، ولكننى كنت أسمع دوى الرصاصات ونباح الكلاب فى وضوح ، ورأيت مظلتين تهبطان فى حديقة القصر ، واحدة فى الجانب الغربى ، حيث يدور القتال ، والثانية فى المنطقة الشرقية ، و ...

قاطعته دونا فى لهفة :

ـ ماذا تقول ؟!.. رأيت مظلتين .

ثم تألق وجهها ، وهى تتراجع مكملة فى حماس :

ـ يا للذكاء !

وقهقهت ضاحكة ، قبل أن تضيف :

ـ يا له من رجل (أدهم) هذا ؟

بدت الحيرة على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ هل يعنى لك هذا شيئًا يا دونا ؟

لوّحت بسيجارتها ، وتركت دخانها يرسم خطوطًا فى الهواء ، وهى تجيب :

ـ إنه يعنى الكثير .. يعنى أن (أدهم) مازال يتمتّع بالعبقرية التى عهدته بها دائمًا ، وأنا واثقة من أنه الآن داخل قصر دون (ميديتشى) .

صمت الرجل لحظة فى تردّد ، قبل أن يقول :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا يا دونا ، ولكن السؤال هو : على أية صورة ؟!.. أهو داخل القصر حيًّا ، أم ... أم جثة هامدة ؟!..

وسرى التوتر فى جسد دونا (كارولينا) ، حتى أنها اعتصرت سيجارتها بين إصبعيها ، وهى تصرخ فى أعماقها ..

ـ نعم .. هذا هو السؤال ..

وامتلأ ذهنها بصورة كبيرة ..

صورة مفزعة ..

* * *

عبر حياته الحافلة ، مرّ (أدهم) بعشرات المواقف والأحداث ، التى أكسبته خبرة مدهشة ، فى التعامل مع كل أنواع المقاتلين ، من رجال مخابرات ، وعصابات ، وحتى القتلة المأجورين ولصوص الشوارع ..

ومنذ اللحظة الأولى ، التى التقى فيها (أدهم) بـ (آرتى) ، أمكنه تصنيفه ، ووضعه فى الخانة التى ينتمى إليها ..

كان قاتلاً دمويًا تلقائيًا ، لم يتلقَ تدريبات منظّمة ، أو ينتمى يومًا لجهاز أمنى رسمى ، ولكنه نشأ فى مناطق فقيرة ، تحسم فيها الأمور عادة بالعنف والقسوة ، ولا يصنع المرء فيها مكانته ، إلا بإراقة نهر من الدم ، حتى يعتاد هذا ويألفه ، بل ويتجاوزه إلى الاستمتاع بإراقة الدماء ، فيتحوّل إلى قاتل محترف ، لا يشعر بكيانه إلا وهو يضيف المزيد إلى نهر الدم ، الذى يخوض فيه حتى عنقه ..

وهذا الطراز بالذات ، لا يمكنه كتم انفعالاته ، أو السيطرة على مشاعره وتصرّفاته ، فهو لا يعرف سبيلاً للتعامل مع الآخرين سوى القتل ..

والقتل وحده ..

وعندما اقتحم (آرتى) ورجاله حجرة مكتب

(ميديتشى) ، راح (أدهم) يراقبه فى حذر وحرص شديدين ، متوقّعًا منه القيام بأى تصرّف عصبى عدوانى ..

وهذا ما فعله ..

لقد أطلق رصاص مسدسه نحو (أدهم) فى غضب ، ولكن هذا الأخير التقط الحركة فى بدايتها ، وتحرّك فى سرعة مدهشة ، فدفع دون (ميديتشى) جانبًا ، حتى لا تصيبه الرصاصة ، ثم انحنى فى مرونة ، ووثب إلى الأمام ، وقبضت أصابعه على معصم (آرتى) ، ولواه فى عنف ، ليجبره على إفلات مسدسه ، وهو يقول :

ـ هذا تصرّف آخر ، يثبت جهلك بضمانات الأمن .

حاول (آرتى) أن يلكمه بيسراه ، ولكن (أدهم) تفادى اللكمة بمهارة مدهشة ، ثم هوى على فك (آرتى) بلكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

ـ وبوسائل القتال أيضًا .

سقط (آرتى) فى عنف ، وارتطم بأحد المقاعد ، ولكنه حاول أن ينهض مرة أخرى ، فركله (أدهم) فى وجهه ، وألقاه فاقد الوعى ، قبل أن يلتفت إلى (ميديتشى) ، قائلاً :

- قل لى يا دون : أكل رجالك بهذه الحماقة ؟

انعقد حاجبا المحامى فى توتر شديد ، وتحرك رجال الحراسة فى عصبية ، وكأنهم ينتظرون أوامر (ميديتشى) ، الذى أشار إليهم فى صرامة ، قائلا :

- اخفضوا أسلحتكم ، واحملوا (آرتى) ، وانصرفوا من هنا ؛ فلدى حديث مع مستر (هوراشيو) .

وابتسم ، وهو يصب لنفسه كأسًا من الفودكا مرة أخرى ، ويغمز بعينيه لـ (أدهم) ، مستطردًا :

- سنعقد صفقة خاصة .. خاصة جدًّا .

أطاعه رجاله على الفور ، وحملوا رئيسهم إلى الخارج ، فى حين بدا المحامى شديد العصبية والتوتر ، وهو يقول :

- حذار يا دون .. ربما كان هذا الرجل هنا من أجلك .

التفت إليه (ميديتشى) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- ومن منعه من قتلى إذن ؟.. لقد كانت لديه الفرصة كاملة مرتين ، فلماذا لم يضغط الزناد ، وينهى المشكلة كلها بلا تعقيدات ؟

توتر المحامى لحظات ، وأرتج عليه ، فراح يلوّح بكفيه فى صمت ، وكأنه يبحث عن الجواب ، قبل أن يقول فى حدة :

- ربما كانت لديه أسبابه .

قهقه (ميديتشى) ضاحكا ، وهو يقول :

- يا للمحامين !.. إنهم لا يتوقفون عن الشك أبدًا .. دعنا نتجاهله يا مستر (هوراشيو) ، ولنتم صفقتنا وحدنا .

قال المحامى فى عصبية :

- خطأ يا دون .. لا تعقد أبدًا صفقة بدون محاميك .

لوّح (ميديتشى) بكأسه ، قائلاً :

- إنها صفقة بسيطة يا (برنارد) ، لا داعى لتعقيدها بتدخل المحامين .. إننى أعرض على مستر (هوراشيو) العمل لدى كحارس خاص ، مقابل راتب كفيل بإسالة كل ما لديه من لعاب ، إلى درجة الجفاف .

قال المحامى :

- الأمر لا يمكن أن يكون بهذه البساطة التى تتصوّرها يا دون .. أريد أن أتحدّث إليك لنصف الساعة أولاً ، قبل أن تعقد صفقتك هذه .

ورمق (أدهم) بنظرة متوترة ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ وحدنا .

ابتسم (ميديتشى) ، وقال :

ـ آه .. شكوك المحامين التقليدية .. لا بأس يا مستر (هوراشيو) .. ستتركنا وحدنا لنصف الساعة ، وستحظى خلال هذا بضيافة من الدرجة الأولى .. هل يناسبك هذا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، قائلاً :

ـ لا بأس على الإطلاق ..

وتبعًا لأوامر دون (ميديتشى) ، تم نقل (أدهم) إلى جناح خاص للضيافة ، فى حين التفت الزعيم المافى إلى محاميه ، وقال :

ـ حسن يا (برنارد) .. ماذا لديك لتناقشه معى ؟!

أجابه المحامى فى توتر :

ـ إننى أطلب منك أن تتريّث قليلاً يا دون ، فليس من المنطقى أن تسند مهمة حراستك الشخصية لرجل غريب ، التقيت به ليوم واحد .

أجابه (ميديتشى) مبتسمًا :

ـ ولكنه نجح فى إبهارى مرتين ، فى هذا اليوم الواحد .

لوّح المحامى بيده ، قائلاً :

ـ لم تتأكّد بعد من غرضه الحقيقى يا دون .

انعقد حاجبا (ميديتشى) ، وهو يقول :

ـ أعتقد أن أعظم ما كان بإمكانه تحقيقه هو قتلى يا (برنارد) .. وكانت لديه الفرصة مرتين ، دون أن يفعل .

بدت الحيرة على وجه المحامى ، قبل أن يندفع قائلاً :

ـ فليكن يا دون .. لن يضيرنا أن نتريّث قليلاً .. أنت تعلم أن الموقف متوتر للغاية ، وأنت أشعلت الحرب بين العائلات ، وقتلت ثلاثة من الزعماء الكبار بالفعل ، ودونا (كارولينا) هنا فى (نيويورك) ، والمفروض أن نكون على حذر تام ، حتى اجتماع العائلات ، فى بداية الشهر القادم .

أشار (ميديتشى) بسبّابته ، قائلاً :

ـ هذا بالتحديد ما دفعنى إلى التفكير فى أمر (هوراشيو) هذا ، ففى ظل الظروف الحالية ، أعتقد أننى بحاجة إلى حماية خاصة مضمونة ، و (هوراشيو) رجل فذ .. لم أر له مثيلاً ، فى حياتى كلها ، وأنا سعيد ومحظوظ ؛ لأنه يرغب فى العمل لحسابى ، وليس ضدى ، ومن رأيى أنها فرصة يمكننا الاستفادة منها .

سأله المحامى فى حدة :

ـ وماذا لو أنه مخادع ؟

تنهّد (ميديتشى) ، وقال :

ـ فليكن يا (برنارد) .. دعنا نفترض أنه مخادع ، ولكن أجب سؤالى جيدًا .. ما الذى يسعى إليه إذن ؟

قلب المحامى كفيه ، وهو يقول :

ـ لست أدرى بعد يا دون .

ابتسم (ميديتشى) ، وارتشف رشفة من كأسه ، قائلاً :

ـ استرخ إذن يا رجل ، ودع الأمور تسير .

لم يجد المحامى ما يقوله بعد هذا ، فلاذ بالصمت تمامًا ، وترك (ميديتشى) يدير أموره كما يراها ، ولكن هذا لم يخمد نيران الشك ، التى راحت تستعر فى أعماقه أكثر وأكثر ، حتى كادت تلتهم عقله كله ..

وبلا رحمة ..

* * *

رفع مدير المخابرات العامة المصرية عينيه ، يتطلّع إلى مساعده ، الذى قدّم له ورقة كبيرة ، وهو يقول فى احترام :

ـ برقية من سيادة العقيد (أدهم صبرى) يا سيّدى .

تناول المدير البرقية ، وهو يسأل :

ـ هل أنجز الخطوة الأولى ؟

أجابه مساعده مبتسمًا :

ـ نعم يا سيّدى ، وبنجاح كبير .. الواقع أن الأسلوب الذى اتبعه مبهر كالمعتاد .

قرأ المدير البرقية فى عناية ، قبل أن يتساءل :

ـ عجبًا !.. المفروض أن (ميديتشى) أسند إليه مهمة حراسته الشخصية ، وأنه لن يغادر القصر ، من الآن فصاعدًا ، إلا بصحبته ، فكيف أمكنه إرسال هذه البرقية الشفرية .

ابتسم الرجل ، وقال :

ـ لقد استخدم جهاز (الفاكس) ، الخاص بـ (دون ميديتشى) .. هذا ماتقوله البيانات التى تلقّاها جهاز الفاكس الخاص بنا ، فى بداية الرسالة .

أومأ المدير برأسه ، ولم يحاول إخفاء إعجابه ، وهو يقول :

ـ يا للجرأة .

ثم عاد يهزّ رأسه ، مضيفًا :

ـ ولكننى مازلت أبغض هذا النوع من العمليات .

قال مساعده فى حذر :

ـ إنها ليست المرة الأولى ، التى نواجه فيها (المافيا) يا سيِّدى .

أجابه المدير فى غضب واضح :

ـ بل هى المرة الأولى ، التى يعمل فيها أحد رجالنا لحساب (المافيا) .

ثم انخفض صوته ، مع استدراكته :

ـ لصالحنا بالطبع .

ابتسم مساعده ، قائلاً :

ـ الظروف هى التى اضطرته لهذا .

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـ نعم .. الظروف أجبرتنا جميعًا على هذا .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ بالنسبة لـ (بل هوراشيو) الحقيقى .. هل تأكَّدتم من أنه لن يعود إلى (نيويورك) ، ليفسد عمل (أدهم) كله .

أجابه مساعده بسرعة :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد ذهب إليه أحد رجالنا كعميل ، وكلَّفه مهمة فى جزر (الباهاما) ، ولن يعود منها قبل أسبوعين ، وهى المدة التى حدَّدها سيادة العقيد (أدهم) لإنهاء العملية .

تنهَّد المدير ، وقال :

ـ فلنتعشَّم إذن أن يسير كل شىء على ما يرام ، فجلّ ما أتمناه أن تنتهى هذه العملية البغيضة بأقصى سرعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستدرك :

ـ وبأقل خسائر .

وعاد يقرأ برقية (أدهم) ..

* * *

انعقد حاجبا (آرتى) فى عصبية ، عندما فتح نافذة حجرة نومه ، فى الصباح الباكر ، ووقع بصره على (أدهم) ، وهو يعدو فى حديقة قصر (ميديتشى) ، مزاولاً رياضة الصباح ، وهتف فى حنق :

ـ اللعنة !.. لست أثق قط بهذا الرجل .

تضاعفت عصبيته ، وهو يحلق ذقنه ، حتى أنه جرح نفسه مرتين ، وتناول إفطاره فى توتر ، ثم ارتدى ثيابه ، وغادر حجرته إلى الحديقة ، فى نفس اللحظة التى انتهى فيها (أدهم) من رياضته ، واتجه نحو حوض السباحة ، فلمحه (أدهم) وهو يقترب ، وابتسم فى سخرية ، قائلاً :

ـ صباح الخير يا (آرتى) .. هل نعمت بنوم عميق ، بعد لكمتى الرقيقة أمس ؟!

أجابه (آرتى) فى غضب :

- هل تظن نفسك طريفًا يا هذا ؟

لوّح (أدهم) بقبضته ، وهو يقول :

- بل أظن أن قبضتى قوية بما يكفى .

اشتعل الغضب فى وجه (آرتى) ، وصرخ وهو يندفع نحو (أدهم) فى وحشية :

- أيها اللعين .

تفادى (أدهم) الانقضاضة بوثبة جانبية ماهرة ، ثم لكم (آرتى) بكل قوته فى معدته ، وأردف لكمته بأخرى فى فكه ، ألقته وسط حوض السباحة ، فغاص فيه إلى عمق متر تقريبًا ، قبل أن يصعد إلى السطح ، صارخًا :

- سأقتلك أيها الوغد .. سأقتلك يومًا .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- فليكن .. وحتى يحين هذا اليوم ، حذار أن تتعامل معى بعصبية أو قلة احترام ، وإلا فستصحو يومًا لتجد أنك قد فقدت كل أسنانك ، وتضطر لاستخدام طاقم أسنان صناعى .

غادر (آرتى) حوض السباحة ، وهو يقول :

- ماذا تقول أيها المغرور .. دعنى أختبر هذا إذن .

قالها وانقضّ على (أدهم) ثانية ، وكال له لكمة عنيفة ، لم تنجح إلا فى إصابة كتفه ، فدار (أدهم) على قدمه اليسرى فى سرعة ، وركله فى صدره باليمنى ، ودفعه إلى الخلف ، ولكن القاتل المحترف احتمل الضربة ، على الرغم من قوتها ، وانقضّ مرة أخرى على (أدهم) ، وتشبّث به ، هاتفًا :

- لن تنجح فى هذا دائمًا .

دفعه (أدهم) بعيدًا فى قوة ، ولكن أصابع (آرتى) ماتت على قميصه ، فجذبه معه إلى الخلف ، وأفقده توازنه ، وهما يندفعان معًا نحو حوض السباحة ..

وسقط الاثنان فى الحوض ، وغاصا فيه معًا ، وما زال (آرتى) يتشبّث بقميص (أدهم) ، الذى أمسك معصمى خصمه فى قوة ، ولواهما فى عنف ، ليجبره على التخلّى عن قميصه ، ولكن (آرتى) أمسك عنقه بكل قوته ، وراح يضغطه فى وحشية شرسة ، شعر معها (أدهم) بآلام مبرحة ، و ...

وفجأة ، سرت موجة عنيفة من التوتر فى عروق (أدهم) ..

ليس بسبب قتاله مع (آرتى) ، ولكن بسبب غوصهما معًا فى أعماق حوض السباحة ..


دفع (أدهم) (آرتى) خارج حوض السباحة ، وقفز خلفه إلى حافته ..

لقد أفسدت المياه تلك المادة اللاصقة ، التى تثبّت شاربه المستعار على وجهه ، فأفلت طرفاه ، وكاد يسقط أمام عينى (آرتى) ..

وكان هذا كفيلاً بإفساد الأمر كله ..

إلا إذا ..

وبكل قوته ، لكم (أدهم) (آرتى) فى معدته ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره ، حتى يدير وجهه بعيدًا ، وأحاط عنقه بساعده ، وراح يضغطه فى قوة ..

وجحظت عينا (آرتى) ، وهو يضرب بساعديه وقدميه ، فى محاولة للتخلّص من (أدهم) ، واختنقت أنفاسه تحت الماء ، وبدأ يفقد قدرته على الرؤية ، و ...

وفجأة ، وقع بصره على ذلك الشىء ، الذى انفصل عن وجه (أدهم) ، وراح يسبح فى عشوائية ..

على الشارب المستعار ..

ولكن هذه الرؤية لم تستغرق أكثر من ثانية واحدة ، وبعدها غاب عن الوعى تمامًا ..

وعندما شعر (أدهم) بانعدام مقاومة خصمه ، دفع جسده إلى أعلى حاملاً إياه ، وهو يلتقط الشارب المستعار فى خفة ، ويدسّه فى جيبه ، ولكنه لم يكد

يصعد مع (آرتى) إلى السطح ، حتى رفع بصره على آخر شخص يرغب فى رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

على دون (ميديتشى) ..

* * *

لثوان ، حدّق (ميديتشى) فى وجه (أدهم) فى دهشة بالغة ، قبل أن يهتف :

ـ (هوراشيو) .. ماذا تفعل ؟

دفع (أدهم) (آرتى) خارج حوض السباحة ، وقفز خلفه إلى حافته ، وهو يقول :

ـ هذا السخيف هاجمنى دون مبرر ، ولم يكن أمامى سوى أن ألقّنه درسًا جديدًا .

تطلّع إليه (ميديتشى) لحظة ، ثم سأله :

ـ لماذا حلقت شاربك ؟

أجابه (أدهم) فى سرعة وهدوء :

ـ تصوّرت أن هذا سيجعلنى أكثر وسامة .

صمت (ميديتشى) لحظات ، وهو يتطلّع إلى وجهه ، ثم لم يلبث أن أشار إلى رجاله ، قائلاً :

ـ اعتنوا بأمر (آرتى) .

حمل الرجال (آرتى) بعيدًا ، فى حين خلع (أدهم) قميصه المبتل ، وهو يقول :

ـ معذرة يا دون .. لم أكن أرغب فى إثارة هذا التوتر فى الصباح ، ولكن (آرتى) كان غاضبًا للغاية ، و ...

قاطعه (ميديتشى) فى حزم :

ـ حاول أن تحسّن علاقتك بـ (آرتى) ، فهو أحد أفضل رجالى ، وأكره أن تنشأ الخلافات بينكما .

ظهر المحامى فى هذه اللحظة ، فأشار إليه (ميديتشى) ، قائلاً :

ـ لقد وصل (برنارد) مبكرًا كعادته .

تطلّع (أدهم) إلى سيارة المحامى ، التى توقّفت على بعد عدة أمتار من حوض السباحة ، وقال :

ـ أنتم تستيقظون جميعًا مبكرين يا دون .. عجبًا !.. كنت أظن أن كل الأثرياء يستيقظون عندما تصبح الشمس فى كبد السماء .

ضحك (ميديتشى) ، وهو يقول :

ـ كيف يكونون ثرواتهم إذن ، لو أنهم استيقظوا متأخرين ؟

قالها ولوّح لمحاميه ، هاتفًا :

ـ صباح الخير يا (برنارد) .. هل قضيت ليلة طيبة ؟

صافحه (برنارد) ، وهو يختلس نظرة جانبية إلى (أدهم) ، قائلاً :

ـ من العسير وصفها بأنها ليلة طيبة يا دون ، فقد أنجزت خلالها الكثير من العمل ، ولم أنم سوى ساعتين أو ثلاث ..

سأله (أدهم) مبتسمًا :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله محام فى قلب الليل ؟

أجابه (برنارد) بلهجة عدوانية :

ـ يجمع المعلومات عنك يا مستر (هوراشيو) .

ثم التفت إليه بجسده كله ، مستطردًا :

ـ لقد زرنا مكتبك ليلة أمس .

قال (أدهم) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!.. ولماذا لم تطلب منى مفتاحه يا مستر (برنارد) ؟!.. كان هذا سيساعدك كثيرًا .

تجاهل (برنارد) هذه السخرية ، وهو يقول فى صرامة :

ـ جيرانك تعرّفوا صورتك يا مستر (هوراشيو) .. الصورة ذات الشارب بالطبع ، ولكن فكرتهم عنك كانت

عجيبة للغاية .. تصوَّر أنهم يرونك شابًّا مستهترًا خاملاً ، لا يتوقَّع المرء منه أي نجاح .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلا :

ـ يروق لى أحيانًا التظاهر بهذا .

سأله (ميديتشى) فى دهشة :

ـ ولماذا ؟

أجابه فى سرعة :

ـ لأن هذا يجعل تأثير المفاجأة على خصومى مدهشًا ، عندما أستعيد شخصيتى الحقيقية .

أطلّ الشكّ واضحًا ، من عينى المحامى وصوته ، وهو يقول :

ـ منطق عجيب يا مستر (هوراشيو) .. أتريد أن تقول : إنك شخص ناجح ، يستمتع بالتظاهر بالفشل ؟.. ألا يبدو لك هذا عجيبًا ، بالنسبة لشخص يعتمد فى عمله على سمعته .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ لكل امرئ أسلوبه يا مستر (برنارد) .

قال (برنارد) :

ـ بالتأكيد .. وأسلوبى أنا يعتمد على توفير أكبر قدر من الضمانات يا مستر (هوراشيو) ، ولذلك ..

لم يتمّ عبارته ، وإنما أشار بيده ، فخرجت من

سيارته امرأة فاتنة ، مفرطة الجمال ، فى أوائل الأربعينات من عمرها ، اتجهت نحوهما ، وهى تحمل حقيبة دبلوماسية أنيقة ، فاستقبلها (ميديتشى) بهتاف حار :

- (ليديا) .. يا لسعادتى برؤيتك !.. لماذا لم تقل إن سكرتيرك بصحبتك يا (برنارد) ؟

وربّت على كتفيها فى حرارة ، وهو يطبع قبلة على وجنتها ، فى حين رمقت هى (أدهم) بنظرة جانبية ، قائلة :

- كيف حالك يا دون .. مازلت شابًّا كما أرى .

قهقه (ميديتشى) ضاحكًا ، وهو يقول :

- فى عينيك فقط يا عزيزتى (ليديا) .

وقال (برنارد) فى صرامة ، موجّهًا حديثه إلى (أدهم) :

- سكرتيرتى (ليديا) ستحصل على بصمات أصابعك يا مستر (هوراشيو) .. إننا نحتاج إليها لاستخراج ترخيص حمل السلاح ، وبعض الأوراق الأخرى ..

أدرك (أدهم) أن المحامى ليس بالرجل السهل ، وأنه سيمثّل نقطة الخطر الكبرى فى العملية كلها ، ولكنه حافظ على هدوئه وبساطته ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا مستر (برنارد) .. ولِمَ لا ؟

تطلّعت (ليديا) إلى عينيه مباشرة ، بعينيها الواسعتين الساحرتين ، وفتحت الحقيبة لتخرج منها بعض الأوراق المزدوجة ، وهى تقول :

- يدك اليمنى يا مستر (جوراشيو) .

ناولها (أدهم) يده اليمنى فى بساطة ، فألصقت إحدى الأوراق بأنامله ، وضغطتها فى رفق ، ثم أبعدت الورقة ، ووضعتها فى غلاف خاص ، وأعادتها إلى الحقيبة ، وهى تقول :

- اليسرى يا مستر (هوراشيو) .

وكرّرت ما فعلته ، ثم أغلقت الحقيبة ، وقالت :

- شكرًا يا مستر (هوراشيو) .. هذا كل شىء .

فرك (ميديتشى) كفيه ، وهو يقول :

- عظيم .. والآن يمكننا تناول كأس من الخمر ، و ...

« هذا الرجل زائف .. » ..

انطلقت تلك الصيحة القوية لتبتر حديثه ، فالتفت الجميع إلى مصدرها فى دهشة ، ووقع بصرهم على (آرتى) ، الذى يقف على مسافة عشرة أمتار ، ويحمل مدفعًا آليًّا ، يصوّبه فى شراسة إلى (أدهم) ، مستطردًا :

- إنه ليس (هوراشيو) الحقيقى .

وتفجّر قوله فى المكان كالقنبلة .

* * *

٦ ــ محاولة قتل ..

سرت موجة عنيفة من التوتر ، فى حديقة القصر ، و (آرتى) يقترب من (أدهم) كالمجنون، ويقول ثائرًا:

ــ انظروا إليه .. لقد فقد شاربه .

قال (أدهم) ساخرًا :

ــ وماذا فى هذا ؟.. ألم تسمع عن ذلك الاختراع الفذ ، الذى يطلقون عليه اسم موس الحلاقة ؟!.. لقد استخدمته وحلقت شاربى ، و ...

قاطعه (آرتى) بصيحة هادرة :

ــ كاذب .

هتف دون (ميديتشى) :

ــ (آرتى) .. ماذا أصابك ؟

صرخ (آرتى) ، وهو يندفع نحو (أدهم) :

ــ إنه كاذب .. كاذب حقير .. لقد كان يرتدى شاربًا مستعارًا .

قال (أدهم) ، فى لهجة توحى بالضجر :

ــ ولماذا أفعل ؟!..

صاح به (آرتى) ، وهو يقترب أكثر وأكثر ، حتى صار قيد ثلاثة أمتار منه :

ــ لتنتحل شخصية (هوراشيو) .

زفر (أدهم) متظاهرًا بالضيق ، وهو يقول :

ــ ألم يكن من الأيسر أن أحضر دون شارب ، وأقول إننى (هوراشيو) ، ولكننى حلقت شاربى ؟.. لست أعتقد أن القانون يمنع المرء من حلاقة شاربه وقتما يريد .

دفع (آرتى) فوهة المدفع الآلى نحو (أدهم) ، صائحًا :

ــ هذا هو الخطأ الذى وقعت فيه يا رجل ، والذى كشف أمرك ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تحرَّك (أدهم) فى سرعة مدهشة ، فمال جانبًا ، واندفع إلى الأمام ، وأمسك ماسورة المدفع الآلى ، ورفعها إلى أعلى ، ثم وثب يركل وجه (آرتى) بقدمه اليمنى ، ثم يخفضها لترتفع اليسرى ، وتغوص فى معدته ، وانطلقت رصاصات المدفع فى سماء القصر ، مع انقباضة الألم ، فى سبَّابة (آرتى) ، ولكن (أدهم) أزال تلك الانقباضة بلكمة ساحقة ، أطاحت بـ (آرتى) بعيدًا ، وأبقت مدفعه الآلى فى يد (أدهم) ، فنهض (آرتى) ممسكًا بفكه ، والدماء تسيل من طرف شفتيه ، وصاح فى غضب :

- عضلاتك هذه لن تخدع أحدًا .. أنت زائف .

كانت كلماته كفيلة بإثارة الشكوك ، وإفساد خطة (أدهم) ، ولكن هذا الأخير ألقى المدفع الآلى جانبًا ، وهو يصرخ فى وجه (آرتى) :

- كفى يا هذا .. لقد سئمت هذه السخافات ، ولم أعد أحتمل المزيد ..

ثم التفت إلى (ميديتشى) مستطردًا :

- قل لى يا دون : هل سيقتصر عملى هنا على الاشتباك مع (آرتى) ، والدفاع عن نفسى ضد هجماته الشرسة ، والمحاولة المستمرة لإثبات هويتى وحسن نواياى ؟!.. لو أن الأمر كذلك ، فأنا أرفض القيام بهذا العمل السخيف ، وسيسعدنى أن أفسخ العقد المبرم بيننا ، دون أن أحصل حتى على حقوق فسخه ، التى تنصّ عليها بنوده .

انعقد حاجبا دون (ميديتشى) ، وهو ينقل بصره بين (آرتى) و (أدهم) ، والمدفع الآلى الملقى أرضًا ، فى حين قال (برنارد) فى انفعال :

- لابد من التحقّق من اتهام (آرتى) له يا دون .

التفت إليه (ميديتشى) ، وصاح فى صرامةً :

- كفى يا (برنارد) .. أنا أيضًا سئمت كل هذا ..

إننا نخطّط لأكبر عملية فى تاريخ العائلات ، منذ مذبحة الثلاثينات(*) ، وأحتاج لكل ذرة من عقلى وتفكيرى ، ولكن (آرتى) الأحمق يضيع الوقت كله فى صراعات جانبية سخيفة ، لمجرّد أنه يغار من حارسى الخاص الجديد ، الذى سيحلّ محلّه .. هل رأيتم تصرّفًا أكثر طفولية وإثارة للحنق من هذا ؟

هتف (آرتى) :

- دون .. إننى ..

قاطعه بصرخة هادرة :

- كفى .. منذ هذه اللحظة لا أريد أية صراعات بين رجالى ، ولا أريد أية محاولات للتشكيك فى نزاهة حارسى الخاص .

قال (برنارد) فى حدة :

- ولكن يا دون ..

قاطعه غاضبًا :

- قلت : إننى لا أريد أية شكوك يا (برنارد) .. إنه حارسى الخاص ، وأنا الذى يتحمّل كل النتائج والعقبات ، ولن أسمح لمخلوق واحد بمناقشة قرارى النهائى .

(*) فى عام ١٩٣٨ م ، قام دون (كيرليون) ، أكبر زعماء (المافيا) ، بالتخطيط لاغتيال كل الزعماء الآخرين ، وأتم هذا بنجاح فى يوم واحد ، وبعدها أصبح هو الزعيم الأوحد لمنظمة (المافيا) بأكملها .

وأشار إلى (أدهم) ، مستطردًا فى حزم :
ـ هيا يا (هوراشيو) .. ارتد ملابس جافة نظيفة ، واستعد ، فستصحبنى فى جولة عمل فى المدينة ، وستجلس معى فى سيارتى ، باعتبارك حارسى الخاص ، أما (آرتى) والآخرون ، فسيتبعوننا بالسيارة الثانية .. هيًا .
قالها ، واستدار عائدًا إلى القصر ، وهو يشير للرجال بإعداد السيارة ، فارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول :
ـ هل سمعتم أيها السادة ؟.. سأخرج فى جولة خاصة مع دون (ميديتشى) .
وتجاوز (آرتى) الذى كاد ينفجر غيظًا ، واتجه إلى حجرته ، فى المنزل الصغير الملحق بالقصر ، ولم يكد يبلغها ، حتى دسّ يده فى جيب سرواله القصير ، ليستعيد الشارب المستعار ويتخلّص منه ، ولكن يده تجمّدت فى مكانها ، داخل الجيب الخالى ..
لقد اختفى الشارب المستعار ..
اختفى تمامًا ..

* * *

مسح (آرتى) الدماء من طرف شفتيه ، وهو يقول فى غضب وثورة :

ـ أنا أركب السيارة الخلفية !.. أنا !!.. حسن يا دون (ميديتشى) .. أقسم إنك ستندم على هذا .. ستندم أشدّ الندم ، أنت و (هوراشيو) اللعين هذا .
ربّت أحد رجاله على كتفه ، قائلا :
ـ دعك من (هوراشيو) يا (آرتى) .. إنك لا تصلح لمواجهته .
التفت إليه (آرتى) فى غضب ، صائحًا :
ـ ماذا تقول أيها المأفون ؟!.. أنا لا أصلح لمواجهة (هوراشيو) هذا ؟!.. أنا ؟!..
أجابه الرجل ، وهو يبتعد عن متناول يده :
ـ معذرة يا (آرتى) .. لم أكن أقصد أنك لست أهلاً له .. كل ما قلته هو أنك لا تصلح لمواجهته ، فالمواجهة ليست مضمارك .. إنك تتفوّق فى مجال آخر .
تألّقت عينا (آرتى) ، وهو يقول :
ـ مجال آخر ؟!.. هل تعنى ؟!..
أجابه الرجل فى سرعة :
ـ نعم يا (آرتى) .. هذا ما أعنيه ، فمنذ حداثتنا وبنيتك الضعيفة لا تؤهلك للمواجهات المباشرة ، وربما كان هذا ما دفعك إلى تطوير أسلوبك ، وتحديث وسائلك ، والتفوّق فى المجال الذى اخترته لنفسك .

برقت عينا (آرتى) ، وهو يقول :

ـ أتقصد الـ .. القتل .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

ـ نعم يا (آرتى) .. القتل .. فن القتل ببراعة .

ثم ربَّت على كتفه ، مستطردًا :

ـ هذا هو مجالك الحقيقى .

ازداد بريق عينى (آرتى) ، وهو يقول :

ـ صدقت يا رجل .. من الخطأ أن يبتعد المرء عن مصدر إبداعه ، فمهارتي الحقيقية هى السبيل الصحيح لتخليصنا من ذلك المتطفل .. وإلى الأبد .

وانطلق يقهقه بضحكة مجلجلة ..

وشريرة ..

* * *

قاد (أدهم) سيارة دون (ميديتشى) ، عبر شوارع (نيويورك) ، وهو يقول فى ضيق متعمَّد :

ـ لم أكن أعلم أن عمل الحارس الخاص يتضمَّن قيادة السيارة أيضًا .

أجابه (ميديتشى) فى هدوء صارم ، من المقعد الخلفى :

ـ لقد علمت الآن .. ولتعلم أيضًا أن حارسى الخاص

يقوم عادة بكل الأعمال ، التى أكلِّفه إياها ، دون أن يعترض أو يناقش .. هذا جزء من عمله .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

ـ لا بأس ، ما دام يحصل على أجر مناسب .

ثم استطرد وهو يتطلَّع إليه ، عبر المرآة الداخلية :

ـ والآن إلى أين سنذهب بالضبط ؟.. أم أن هذا سر ؟

أشار (ميديتشى) بأصابعه ، قائلاً :

ـ سنتجه أوَّلاً إلى مطعمى فى الشارع الأربعين ، وبعدها سنذهب إلى مقر الشركة .

سأله (أدهم) :

ـ أمن الضرورى أن تذهب إلى المطعم فى وضح النهار هكذا ؟

أجابه (ميديتشى) فى حزم :

ـ ولِمَ لا ؟.. لقد اعتدت تناول طعام إفطارى مع رئيس الشرطة ، صباح كل أحد ، ولست مستعدًا لتغيير هذا ، لمجرَّد أن بعضهم يضيق بوجودى فى هذه الحياة .

قال (أدهم) متظاهرًا بالقلق :

- هذا النمط الثابت يضاعف من خطورة الأمر يا دون ، فأى شخص يرغب فى اغتيالك ، يمكنه ببساطة تحديد موقعك فى أية لحظة .

قال (ميديتشى) فى قلق :

- وما مهمتك إذن ؟!.. هل تعتقد أننى أستأجرك لتغيّر خط حياتى ؟!.. صحّح معلوماتك إذن يا صاح .. إننى أدفع لك هذا الأجر الضخم لتحافظ على نمط حياتى وتؤمّنه ، وليس لتقلب أمورى كلها رأسًا على عقب .

قال (أدهم) :

- ولكن هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة .

هتف (ميديتشى) فى حدة :

- ولكن الأجر يناسب الموقف حسبما أعتقد .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا دون .. بالتأكيد .

كان يمثّل دور الحارس الخاص بإتقان مدهش ، فقاد السيارة الفاخرة عبر الشوارع المزدحمة ، حتى بلغ الشارع الأربعين ، وتوقف أمام المطعم ، ثم غادر السيارة ، ودار حولها ، ليفتح الباب لدون (ميديتشى) ، فى نفس اللحظة التى توقفت فيها سيارة (آرتى) ورجاله خلف سيارة (ميديتشى) ، وبدأ الزعيم المافى هبوطه من سيارته ، و ...

وفجأة ، برز رجلان مقنعان ، من داخل سيارة (فان) كبيرة ، ورفع كل منهما مدفعه الآلى ، وصوّبا المدفعين نحو (ميديتشى) ..

وانتبه (آرتى) للموقف ، وانتزع مسدسه ، صائحًا فى رجاله :

- احترسوا يا رجل .

ولكن قبل حتى أن يصوّب مسدسه ، كان (أدهم) قد دفع (ميديتشي) داخل السيارة ، واستل مسدسه ، صائحًا :

- تراجع يا دون .

ثم أطلق النار على الرجلين ، فأصاب أحدهما في صدره ، وأعاده داخل السيارة الكبيرة فى عنف ، والدماء تتفجّر من صدره فى غزارة ، وأصاب الآخر فى فخذه وبطنه ، فتراجع والدماء تنزف منه ، وصرخ فى سائق السيارة :

- ابتعد يا رجل .. ابتعد فى سرعة .

وانطلقت (الفان) مسرعة ، وانحرفت فى أحد الشوارع الجانبية ، قبل أن يطلق (آرتى) ورجاله

رصاصة واحدة ، واندفع رئيس الشرطة من المطعم ، مع اثنين من رجاله ، وهم يحملون أسلحتهم ، و (أدهم) يسأل (ميديتشى) :

- أأنت بخير يا دون ؟

نفض (ميديتشى) ثيابه بلا مبرّر ، وهو يقول فى اضطراب :

- نعم يا (هوراشيو) .. نعم .. أنا بخير .

وهتف به رئيس الشرطة :

- مرحى يا دون .. لقد رأيت كل شىء .. إن لك حارسًا خاصًا تُحسد عليه بالفعل .. لقد شاهدنا الرجلين من خلف زجاج الواجهة ، وهما يبرزان من (الفان) ، وقبل أن نستوعب الموقف حتى كان حارسك الخاص قد استلّ مسدسه ، وتعامل معهما بالفعل .

غادر (ميديتشى) السيارة ، وهو يقول فى زهو :

- مستر (هوراشيو) ليس حارسًا عاديًّا .. إننى أنتخب أفضل الرجال لحمايتى دائمًا .

ثم ربّت على كتف (أدهم) ، مستطردًا :

- أليس كذلك يا مستر (هوراشيو) ؟

كانت إمارات الحسد والحقد واضحة على وجه (آرتى) ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، ويقول فى حدة :

- أما كان من الأجدى أن نطارد (الفان) ، بدلاً من أن نضيع الوقت فى امتداح (هوراشيو) العجيب ؟

لوّح رئيس البوليس بيده ، وهو يقول :

- وما الفائدة ؟.. لا يمكنك مطاردة سيارة فى قلب (نيويورك) .. هذا من رابع المستحيلات .

هتف (آرتى) فى حنق :

- أية شرطة هذه ؟

أشار إليه (ميديتشى) بيده ، قائلاً فى صرامة :

- اصمت يا (آرتى) .

ثم دفع رئيس الشرطة أمامه ، مستطردًا :

- أرجو ألا يكون هذا الحادث البسيط قد أفسد شهيتك يا سيادة الرئيس ، فالإفطار فى مطاعم (ميديتشى) لا يمكن التنازل عنه بسهولة .

عاد معه رئيس الشرطة إلى المطعم ، مردّدًا :

- بالطبع يا دون .. بالطبع .

اتجها إلى مائدة خاصة فى ركن المطعم ، تتيح لهما مراقبة الطريق ، عبر الواجهة الزجاجية ، دون أن ينتبه إليهما أحد ، وما أن جلسا حولها ، حتى أخرج (ميديتشى) من جيبه مظروفًا منتفخًا ، ناوله إلى رئيس الشرطة ، قائلاً بابتسامة واسعة ، تحمل لمحة من السخرية :

- خذ .. جفف عرقك يا رجل ، بعد هذا الانفعال .

التقط الرجل المظروف ، وفتحه ليلقى نظرة سريعة على محتوياته ، وارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يدسه فى جيبه ، قائلاً :

- المبلغ أكبر من المعتاد هذه المرة يا دون .. أهناك عمل إضافى .

ابتسم (ميديتشى) ، قائلاً :

- عظيم .. لقد بدأت تستوعب الأمور يا رجل .. هناك عمل إضافى بالفعل .

اختلس رئيس الشرطة النظر إلى (أدهم) ، الذى يقف على مقربة ، فأشار إليه (ميديتشى) بيده ، وهو يقول :

- اطمئن .. الحارس الخاص هو أيضًا كاتم الأسرار فى المعتاد .

لم يبد أن الرجل يشعر بالارتياح ، على الرغم من قول (ميديتشى) ، ولكنه مال نحو هذا الأخير ، وسأله فى اهتمام :

- ما نوع العمل الإضافى بالتحديد ؟

أجابه (ميديتشى) فى هدوء :

- هناك بوق فى المدينة ، أرغب فى إسكاته ؛ لأن وجوده يسبب لى إزعاجًا .



فأشار إليه (ميديتشى) بيده ، وهو يقول :

- أطمئن .. الحارس الخاص هو أيضًا كاتم الأسرار فى المعتاد ..

قال الرجل فى دهشة :

ـ وما حاجتك إلينا إذن ؟!.. إنك تتولى مثل هذه الأمور بنفسك فى المعتاد !

أجابه (ميديتشى) فى صرامة :

ـ ولكننى لا أرغب فى التعامل على نحو مباشر هذه المرة ، فالشخص المراد التخلّص منه ليس شخصًا عاديًّا ، ولن يمكننى التخلّص منه بنفسى ، أو حتى الظهور فى الصورة ، عندما يحدث هذا .

سأله الرجل فى قلق :

ـ أهو شخصية هامة إلى هذا الحد ؟

أجابه فى حزم :

ـ نعم .. فى العائلة على الأقل .

جذب الحديث انتباه (أدهم) فى شدة ، على الرغم من تظاهره بالانشغال بمراقبة المكان ، وأرهف سمعه فى اهتمام ، ورئيس الشرطة يسأل :

ـ ومن هذا الرجل بالتحديد ؟

أجابه (ميديتشى) فى شىء من التوتر :

ـ إنه ليس رجلا .. إنه امرأة .

تراجع رئيس الشرطة ، قائلاً فى دهشة :

ـ امرأة ؟!

تضاعف توتر (ميديتشى) ، وهو يجيب فى حزم :

ـ نعم.. امرأة تُدعى (كارولينا)... دونا (كارولينا).

وكانت مفاجأة جديدة .

* * *

٧ ـ الخداع ..

تجاوزت السيارة (الفان) الطرق المزدحمة ، فى قلب (نيويورك) ، وانطلقت نحو الضواحى الشمالية ، ثم توقفت ، وقفز منها سائقها ، إلى جوار سيارة أخرى أنيقة ، من طراز (فورد) ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ هيَّا يا رجال .

لم يكد يتمّ قوله ، حتى وثب أحد المقنّعين خارج السيارة ، فى نشاط مدهش ، لا يتناسب قط مع الإصابة الواضحة فى فخذه ومعدته ، والدماء التى تغرق نصفه السفلى كله تقريبًا ، وانتزع القناع عن وجهه ، وهو يقول :

ـ كانت عملية رائعة فى الواقع .

لحق به زميله ، والدماء تغرق صدره ، وخلع قناعه بدوره ، وقفز داخل الفورد ، معقبًا :

ـ أراهنك أن العمل مع (أدهم) هذا متعة .. هل رأيت كيف أصاب أهدافه بسرعة ودقة مدهشتين ؟.. لقد خشيت لحظة أن تنحرف إحدى رصاصاته ، بعيدًا عن الدروع التى نرتديها ، فتتسبّب فى إصابتنا بالفعل .

انطلق زميلهما بالسيارة (الفورد)، وهو يبتسم قائلاً :

ـ هذا لأنكما لم تعملا مع سيادة العميد (أدهم) من قبل .

أجابه الأوّل ، وهو يخلع سترته ، وينتزع الدرع المزوّد بأكياس الدم من بطنه وفخذه :

ـ إننا لم نعمل معه بالفعل ، ولكننا سمعنا الكثير عنه .. إنهم يطلقون عليه اسم (الأسطورة) ، ولقد تمنينا كثيرًا أن نعمل تحت إمرته يومًا .

انتزع الثانى درعه من فوق صدره ، وهو يقول مبهورًا :

ـ ولكن ما تسمعه شيئًا ، وما تراه شىء آخر .. إننى لم أتصوّر أبدًا أن يستطيع رجل ما إطلاق النار بهذه السرعة ، وبمنتهى الدقة ، كما فعل سيادة العميد .

قال سائق السيارة ، وهو ينحرف بها ، عائدًا إلى قلب المدينة :

ـ الخطة كلها كانت تعتمد على سرعته ودقته ، وإلا فقد كان من الممكن أن يطلق الآخرون النار أوّلاً ، وتلقيان مصرعكما بالفعل .

أومأ كل منهما برأسه ، وغمغم أحدهما :

ـ هذا صحيح .

ثم سأل فى اهتمام :

- ولكن ما الغرض من هذه التمثيلية ؟.. ما الذى يفيد سيادة العميد من التظاهر بقتلنا أمام أحد زعماء (المافيا) ؟

أجابه السائق فى صرامة :

- لا تسأل .. أنت تعرف قواعد العمل فى عالم المخابرات .. المعرفة بقدر الحاجة .. لقد عرفت الجزء الخاص بك ، وهذا يكفيك .

سأله زميله :

- هل تعنى أنك أيضًا تجهل السبب ؟

أجابه فى حزم :

- بالتأكيد .. الأسباب لا تهم ، ما دمت تثق فى قيادتك ، وما دمت تعمل من أجلها .

سأله الثانى :

- من أجل القيادة ؟!

هتف السائق بسرعة :

- كلا .

ثم امتلأ صوته بالفخر والاعتزاز ، وهو يضيف :

- بل من أجل (مصر) .

ولم ينطق أحدهم بعدها ببنت شفة ، بل خفقت قلوبهم فى قوة ، و ...

وعادت بهم السيارة إلى قلب (نيويورك) ..

* * *

ران الصمت التام على سيارة دون (ميديتشى) ، و (أدهم) يقودها ، متجهًا إلى شركة هذا الأخير ، الذى قطع حبل الصمت ، ليسأله فى هدوء :

- فيم تفكّر يا (هوراشيو) ؟

أجابه (أدهم) بسرعة ، وكأنه كان ينتظر السؤال :

- فى تلك المرأة .

سأله (ميديتشى) فى قلق :

- أية امرأة ؟

أجابه (أدهم) مباشرة :

- دونا (كارولينا) .

اعتدل (ميديتشى) فى مقعده بحركة حادة ، وهو يقول :

- وما شأنك بها ؟

تجاهل (أدهم) تلك النبرة العصبية فى صوت (ميديتشى) ، وقال :

- لماذا نستعين بالشرطة للتخلّص منها ؟.. إننى أستطيع القيام بهذه المهمة فى سهولة .. أخبرنى أين هى ، وسأنهى العملية بشكل متقن ، يجعل الأمر يبدو كحادث عارض .

تراجع (ميديتشى) ليسترخى مرة أخرى فى مقعده ، وهو يقول :

- كلاً يا (هوراشيو) .. لو أننى أرغب فى أن نتولى العمل بأنفسنا ، لأسندت هذه المهمة إلى (آرتى) .. إنه فنان فى هذا المجال ، ويجد متعة فى التخلص من الآخرين عادة ، ولكن من الأفضل أن يقوم رئيس الشرطة بهذا العمل ، وألا نتورَّط فيه قط ، ولو من بعيد .

سأله (أدهم) فى إلحاح :

- لماذا ؟.. إننا نستطيع القيام بهذا العمل بشكل أفضل .

هزّ (ميديتشى) كتفيه ، وهو يجيب :

- ربما كان هذا صحيحًا ، ولكن قوانين العائلة تجعل الأمر عسيرًا إلى حد كبير ، فلو ثبت أننى تورَّطت فى عملية قتل ، دونا (كارولينا) ، ولو بطريق غير مباشر ، لن يصبح باستطاعتى الحصول على الزعامة المطلقة أبدًا ، فالقانون عندنا صريح ، فى أن قاتل الزعيم لا يمكن أن يصبح زعيمًا ، بل ولا يبقى حتى كرئيس لعائلته ، إذ يتم تنحيته ، وتصفية ممتلكاته ، وتستولى العائلات المحيطة به على كيانه كله ، وربما تم قتله أيضًا ، لو اتفقت الآراء على هذا(*) .

(*) هذا واحد من قوانين (المافيا) ، التى لا تتنازل عنها قط ، ولقد تم وضعه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، حتى لا تتكرَّر مذبحة الثلاثينات .

كان (أدهم) يعرف هذا جيدًا ، ويحفظه عن ظهر قلب ، ولكنه تظاهر بأنه يسمعه لأوَّل مرة ، وهو يقول :

- آه .. فهمت .

ثم استدرك بسرعة :

- ولكننى مازلت مصرًا على أننى أستطيع القيام بالمهمة على أفضل وجه .

هزَّ دون (ميديتشى) رأسه فى حزم ، قائلاً :

- كلاَّ .. ولن نناقش هذا الأمر ثانية .

ولم يناقشه (أدهم) بالفعل ، إذ عاد عقله ينشغل بتلك التطورات الجديدة ، ويفكِّر فيها فى عمق ..

إن دونا (كارولينا) تواجه خطرًا فعليًا هذه المرة ، فى قلب (نيويورك) ، معقل زعامة دون (ألبرتو ميديتشى) ، وعليه أن يسعى لتحذيرها منه ، قبل أن يظفر بها ، وتضيع مهمته هباءً ..

ومع تداعى الأحداث والتفكير ، وجد أفكاره كلها تتركَّز على ذلك الشارب المستعار ، الذى فقده فى حديقة القصر .

ولأول مرة يجد نجاحه معلَّقًا بشارب مستعار ..

ويا لسخافة الموقف !..

فلو عثر أحد رجال (ميديتشى) على ذلك الشارب

مصادفة ، فسيكون هـذا أكبر دليـل علـى أنـه ليـس (هوراشيو) الحقيقى ، وستكفى بذرة الشك هذه لفحص ملامحه كلها ، وكشف تنكره ، و ...

وفشل العملية كلها ..

وكان عليه أن يبذل قصارى جهده للعثور على الشارب المستعار ، وهو يتساءل فى قلق :

ـ هل عثر عليه شخص آخر ؟!..

هل ؟!..

* * *

حاول المحامى (برنارد) أن يسترخى فى مقعده ، على الرغم من التوتر العنيف ، الذى يملأ نفسـه ، وهو يتطلّع إلى صورة (أدهم) ، فى شخصية (هوراشيو) ، التى نقلتها (ليديا) إلى شاشة الكمبيوتر ، وقال :

ـ هل راجعت تقرير البصمات ؟

أجابتـه (ليديا) فـى هـدوء ، وهـى تضـع إحـدى ساقيها فوق الأخرى ، وتسمح لثوبها القصير أن ينحسر أكثر وأكثر عنهما :

ـ لم يتمّ العثـور على بصمـة واحـدة باسـم (بـل هوراشيو) ، فالقانون لا يجبـره على وضع بصماته فى

أى مكـان ، وحتـى رخصـة قيـادة السيـارة ، لا توضـع البصمة على استمارته إلا برغبة الشخص نفسه(*) .

قال فى عصبية :

ـ هذا يضاعف من الشكوك ، التـى تستعـر فـى نفسى .

وعاد يتطلّع إلى الصـورة على شاشـة الكمبيوتـر ، ثم قال :

ـ ماذا لو أبدلنـا لـون العينين ، أو غيرنـا طريقـة تصفيف الشعر ، أو لونه ، أو أضفنا لحية مثلاً ؟.. هل يمكنك فعل هذا ؟

أجابته ، وهى تضغط أزرار الكمبيوتر :

ـ بالتأكيد .. لدى برنامج متكامل لهذا .

راقـب (برنـارد) الشاشـة فـى اهتمـام بـالـغ ، و (ليديـا) تبدل الملامـح الأساسية لصورة (أدهـم) ، فتضيف إلـى وجهـه لحيـة قصيرة ، أو كثّـة ، أو تضـع على عينيـه منظـارًا طبيًّا ، ثـم تبـدل لونهمـا ، وتغيّر تصفيفة الشعر ، و ...

وفجأة ، اعتدل (برنارد) ، وهتف بها :

(*) صحيح (فى الولايات المتحدة الأمريكية فقط) .

ـ توقفى .

ومـال فـى اهتمـام بـالغ ، يتطلّـع إلـى الصـورة المرسومة على الشاشة فى إمعان ، قبل أن يقول :

ـ أنا أعرف هذا الرجل .. لقد رأيته حتمًا من قبل .

قالهـا ، وانطلق عقلـه يفتـش فـى ذاكرتـه بمنتهـى الدقة عن جواب سؤال واحد ..

متى رأى هذا الشخص ؟

وظلّ السـؤال يـدور ويـدور ، وعينـا (برنـارد) لا تفارقان تلك الملامح ، التى تملأ شاشة الكمبيوتر ..

ملامح وجه (أدهم صبرى) ..

وجهه الحقيقى ..

* * *

وقـف (آرتـى) فـى ركـن القـاعـة الملحقـة بمكتـب (ميديتشى) فى الشركة ، يراقب (أدهم) ، الذى راح يخطّ بضع كلمات فوق ورقة صغيرة ، ثم سأله فى شىء من الصرامة :

ـ ماذا تكتب ؟

أجابـه (أدهـم) فـى بـرود ، دون أن يتوقّـف عمـا يفعله ، أو حتى يرفع عينيه إليه :

ـ ليس هذا من شأنك .

كـان (أدهـم) يخـطّ رسـالـة شـفرية للقيـادة ، فـى محاولة منه لتحذير دونـا (كارولينـا) ، وعقلـه مشغول بالبحث عن وسيلة لإرسالها إلـى (القـاهرة) ، أو إلـى مكتب المخـابرات المصرية فـى (نيويـورك) ، ولكـن أسلوبه هذا استفزّ (آرتى) ، الذى قال فى حدة :

ـ ماذا تعنى بأن هذا ليس من شأنى ؟.. كلانا يعمل لحساب دون (ميديتشى) ، وأنا المسئول عن الأمن فى عائلته ، ومن الضرورى أن أفهم كل ما تفعله .

لوّح (أدهم) بالرسالة ، وهو يقول :

ـ وما الذى تتصوّر أننى أفعله ؟

أجابه فى صرامة عصبية :

ـ ومن أدرانى ؟!.. ربما كنت تدوّن بعض المعلومـات عن الدون ، بنية بيعها لخصومه .

قفزت الفكرة بغتـة إلـى رأس (أدهـم) ، وبـدت لـه طريفـة وعمليـة ، حتـى أنـه كـاد ينفجر ضاحكـا ، وهـو يقول :

ـ يا له من تفكير خيالى !.. وهل تعتقد أنك تستطيع منعى ، لو أن الأمر كذلك بالفعل ؟

تبادل رجال (ميديتشى) النظرات القلقة ، وتصوَّروا أن اشتباكًا جديدًا سيحدث بين (أدهم) و (آرتى) ، والأخير يقول فى حدة :

ـ بالطبع يمكننى منعك .. هذا من صميم عملى .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت لم تستوعب التكنولوجيا الحديثة بعد يا رجل .. لو أن هذه الورقة تحوى بعض المعلومات السرية ، التى أرغب فى توصيلها لخصوم الدون ، لما كان علىَّ أن أفعل سوى هذا .

واتجه إلى جهاز (الفاكس) ، الموضوع فوق المائدة الكبيرة ، فى منتصف القاعة ، وضغط زر تشغيله ، وهو يقول :

ـ سأشعل جهاز (الفاكسميلى) ، وأضع فيه الرسالة ، ثم أطلب رقم هؤلاء الخصوم هكذا مثلاً :

قالها ، وهو يطلب رقم مكتب المخابرات فى (نيويورك) بالفعل ، فارتفع رنين الهاتف لحظة ، ثم تبعه أزيز الفاكس ، عند الطرف الآخر ، فضغط (أدهم) زر الإرسال ، مستطردًا :

ـ وبعدها يكفى أن أضغط زرًّا واحدًا هكذا .

غاصت الرسالة فى تجويف الجهاز ، وبرزت من الجانب الآخر ، بعد أن انتهى إرسالها ، فالتقطها (أدهم) متابعًا فى سخرية :

ـ وبعدها يمكننى أن أمزِّق الرسالة نفسها هكذا ، وألقيها فى سلة المهملات .. بل ويمكننى أن أمزِّق التأكيد المطبوع أيضًا .

كان يتحدَّث وهو يقرن القول بالفعل ، فيمزِّق الرسالة والتأكيد المطبوع ، ولكنه بدلاً من إلقائهما فى سلة المهملات ، دسَّهما فى جيبه ، مضيفًا :

ـ هل رأيت كيف أن الأمر أبسط مما تتصوَّر ؟

ابتسم الرجال ، وهم يخفون سخريتهم ، ويتطلعون إلى (آرتى) ، الذى انعقد حاجباه لحظة ، وهو يحدِّق فى جهاز (الفاكس) ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة :

ـ ما الذى فعلته الآن ؟

جلس (أدهم) على أقرب مقعد إليه فى هدوء ، وهو يقول :

ـ كنت أثبت لك أنه لا يوجد أى مبرِّر لقلقك الزائد هذا .

راح (آرتى) ينقل بصره بين وجه (أدهم) وجهاز (الفاكس) ، وهو يشعر أن الأوَّل قد سخر منه بوسيلة ما ، ولكن المدهش أنه لم ينتبه إلى ما حدث جيدًا ..

لم ينتبه إليه أبدًا ..

أما (أدهم) نفسه ، فعلى الرغم من تلك الابتسامة الساخرة ، التى ملأت وجهه ، إلا أن عقله كان يهتف فى قلق ..

ترى هل تصل الرسالة إلى (كارولينا) فى الوقت المناسب ؟!..

هل ؟!..

* * *

نفثت دونا (كارولينا) دخان سيجارتها فى عمق ، وتجاهلت الرنين المتصل للهاتف ، وهى تبذل جهدًا للاسترخاء فى مقعدها ، فتقدَّم منها أحد حارسيها الخاصين ، وهو يقول فى قلق ، مشيرًا إلى الهاتف :

ـ ألن نجيب هذه المرة أيضًا يا دونا ؟

لوَّحت بأصابعها ، قائلة :

ـ لست أرغب فى التحدّث إلى أحد .. إننى مرهقة ومتوترة للغاية ، وأحتاج إلى قدر من الراحة والاسترخاء .. لا مقابلات ، أو مكالمات .. أو حتى أخبار سيئة .. دعونى أسترجع قدرتى على التفكير السليم ، وإلا تخبَّطت كل قراراتى .

تطلَّع الرجل فى قلق أكثر إلى الهاتف ، الذى يواصل رنينه فى إلحاح ، وقال :

ـ ربما كانت محادثة هامة .

صمتت لحظة مفكّرة ، وغمغمت :

ـ المكالمة الهامة الوحيدة المنتظرة ، ستأتى من (أدهم) .. فليكن .. أجب الهاتف ، ولو لم يكن المتحدّث هو (أدهم) بنفسه ، أنْهِ المكالمة على الفور .

أسرع الرجل إلى الهاتف ، وكأنه كان ينتظر هذا الأمر ، ولكنه لم يكد يلمسه ، حتى انقطع رنينه ، فارتسمت على وجهه خيبة الأمل ، فى حين ابتسمت (كارولينا) ، قائلة :

ـ هذا أفضل .

أجابها الرجل فى توتر :

ـ أنا على عكسك يا دونا .. أتمنى أن يرن الهاتف مرة أخرى ، فهناك شخص ما يحاول الاتصال بنا فى إصرار ، ولكننا تجاهلناه خمس مرات فى عناد ، وربما كان ما لديه بالغ الخطورة بالفعل .

أشارت بأصابعها فى توتر ، ونفثت دخان سيجارتها ، قائلة :

ـ ولو .. قلت لك إننى مرهقة للغاية ، وحتى لو أخبرنى صاحب المكالمة أن هناك قنبلة ستنفجر تحت مقعدى ، لما غادرت مكانى لحظة واحدة .

هزّ الحارس رسه ، قائلاً :

ـ دونا .. إنك تبالغين ، فالمفروض ..

قاطعته فى صرامة عنيفة :

ـ لا يوجد مفروض .. نفذ أوامرى فحسب .

تنهّد فى ضيق ، ولكنه أجاب صاغرًا :

ـ كما تأمرين يا دونا .

أطفأت سيجارتها فى ملل ، وهى تشير إليه ، قائلة :

ـ تأكّد من تأمين المكان ، وانتبه مع زميلك جيدًا ، فنحن هنا فى قلب (نيويورك) ، ولا يمكننا أن نأمن شرور دون (ميديتشى) .

أجابها فى حماس :

ـ اطمئنى يا دونا .. لقد اتخذنا كافة الاحتياطات اللازمة لتأمين سلامتك ، فكل من يتتبّعك سيتصوّر أنك تقيمين فى (الهيلتون) ؛ لأننا حجزنا جناحًا باسمك هناك ، وأوقفنا ثلاثة من رجالنا لحراسته بالفعل ، كما أن سيارتك المصفّحة الخاصة تقف فى ساحة الانتظار أمامه ، وفى الوقت نفسه استأجرنا هذه الشقة باسم آخر ، ونقلناك إليها متنكرة ، وعلى الرغم من ثقتنا فى أن أحدًا لن يتصوّر أن المقيمة هنا هى دونا (كارولينا) ،

زعيمة زعماء (المافيا) ، إلا أننا نؤمّن المكان جيدًا ، فيقف إثنان من رجالنا عند مدخل البناية طوال الوقت ، فى حين أقوم وزميلى بحراسة باب شقتك .. ألا يكفيك كل هذا ؟

تثاءبت قبل أن تقول :

ـ بالتأكيد .. ومادمت مطمئنًا إلى هذا الحد ، فاتركنى وحدى ؛ لأنعم بقليل من الاسترخاء أو النوم .

أجابها الرجل بسرعة :

ـ كما تأمرين يا دونا .. كما تأمرين .

وغادر الشقة فى خطوات مسرعة ، وأغلق بابها خلفه ، فتنهّدت (كارولينا) ، وألقت جسدها المكدود فوق أريكة وثيرة ، وهى تتساءل :

تُرى ما الذى يفعله (أدهم) الآن ؟..

وفى نفس اللحظة ، التى دار فيها هذا السؤال بخلدها ، كان هناك رجلان يقتربان من مدخل البناية التى تقيم فيها ، فى قلب (نيويورك) ، وتوقّف أحدهما ليحكم رباط حذائه ، أمام باب البناية مباشرة ، فاستند رفيقه إلى الباب ، إلى جوار رجلى الحراسة ، وابتسم وهو يسأل أحدهما :

ـ فيم وقوفكما هنا .. هل تنتظران شخصًا ما ؟

رمقه أحدهما بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا من شأنك .. امض فى طريقك .

هزّ الرجل رأسه ، وقال :

ـ لا داعى لكل هذا التوتر .. سننصرف فور انتهاء زميلى من إحكام رباط حذائه .. ما رأيك بتدخين سيجارة على نفقتى ، فى هذا الوقت ؟

قالها ، وهو يدسّ يده فى جيب سترته الداخلى ، فى حركة بدت طبيعية ، و ...

وفجأة ، خرجت يده بمسدسه ، الذى هوى بكعبه بكل قوته ، على فك الحارس ، الذى انقلبت مقلتاه ، وارتطم بالباب فى عنف ، فتلقّفه حامل المسدس بين ذراعيه ، قبل أن يسقط فاقد الوعى ، وانتبه الحارس الثانى على الفور ، فاستلّ مسدسه بسرعة ، ولكن الشخص الذى كان يتظاهر بإحكام رباط حذائه هبّ واقفًا بسرعة أكبر ، وهوى على فك الحارس الثانى بلكمتين عنيفتين ، أفقدتاه وعيه على الفور ، فتلقّفه بين ذراعيه بدوره ، ثم أمسكه جيدًا بيسراه ، وهو يلتقط من جيب سترته الأيمن أداة رفيعة ، دسّها فى حافة الباب ، بمحاذاة الرتاج الإليكترونى ، ومرّرها فى سرعة ، ثم ضغط طرفها ، وضغطها بين ضلفتى الباب ، فأصدر

الرتاج أزيزًا خافتًا ، وانفتح فى هدوء ، فدفع الرجلان الباب ، ودلفا إلى البناية ، وهما يجران الحارسين الفاقدى الوعى ..

وفى دهشة مذعورة ، هبّ حارس البناية الرسمى فى مكانه ، واستلّ مسدسه ، هاتفًا :

ـ من أنتما ؟.. وماذا تفعلان ؟

ولكن أحد الرجلين ألقى حمله ، وأطلق مسدسه نحو الحارس ، فخرج من فوهة المسدس سهم دقيق ، انغرس فى عنق الحارس ، الذى جحظت عيناه ، وتجمّدت أصابعه على مسدسه ، ثم هوى على مكتبه فاقد الوعى ..

وهنا ، تحرّك الرجلان بسرعة مدهشة ، فتركا الحارسين الفاقدى الوعى ، إلى جوار الحارس الرسمى ، وانطلقا نحو المصعد ، فاستقلاه إلى الطابق الذى تقيم فيه دونا (كارولينا) ، ولم يكد المصعد يتوقّف هناك ، حتى هب حارسا دونا فى توتر ، وحمل كل منهما مسدسه ، وتأهّبا لاستقبال القادمين ، ولكن باب المصعد انفتح ، وارتفعت فوهتا المسدسين فى مستوى القادم ، و ...

وكانت مفاجأة ..

لقد رقد الرجلان فى قاع المصعد ، تفاديًا لأية رصاصات عصبية ، تنطلق فى اللحظات الأولى ، وعندما لمحا حارسى (كارولينا) ، أطلقا عليهما مسدسيهما ، من قاع المصعد ، فانغرس سهم أحدهما فى عنق الحارس الأوّل ، وأفلت السهم الثانى هدفه ..

وعندما سقط الحارس الأوّل فاقد الوعى ، تراجع الثانى فى سرعة ، هاتفًا :

- احترسى يا دونا .

ولكنه لم يجد الوقت لضغط زناد مسدسه ، فقد وثب أحد القادمين فى براعة مدهشة ، وركل المسدس من يده ، ثم كال له لكمة عنيفة ، جعلته يرتطم بالجدار ، ثم يرتدّ عنه فى قوة ، لتستقبله قبضة الرجل الآخر بلكمة ساحقة ، أسقطته أرضًا فاقد الوعى ..

وفى شقتها ، التقطت دونا (كارولينا) الهتاف ، فوثبت من الأريكة إلى حقيبتها ، والتقطت مسدسها ، هاتفة :

- ربّاه !.. من الواضح أنهم عثروا علينا .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى اقتحم الرجلان الشقة فى عنف ، فاستدارت إليهما ، وأطلقت رصاصة من مسدسها ، صارخة :

- لن تحصلوا على بسهولة .

ولكن رصاصتها ضاعت هباءً ، عندما قفز أحد الرجلين أرضًا ، ومال الثانى جانبًا ، وهو يطلق نحوها سهمًا مخدِّرًا آخر ..

وشعرت (كارولينا) بألم فى ذراعها ، وحاولت أن تطلق رصاصة أخرى ، ولكن سهمًا آخر انغرس فى عنقها ، فسقط مسدسها من يدها ، وترنّحت ، ثم فقدت وعيها ، وهى تسقط أرضًا ، فوثب أحد الرجلين يتلقّفها فى رفق ، ثم أرقدها على الأريكة ، وأشار إلى زميله إشارةً صامتة ، فتقدَّم زميله إلى النافذة ، ولوّح بيده ثلاث مرات ، ولم يكد يفعل ، حتى ارتفع صوت بوق سيارة إسعاف ، توقّفت خلال نصف الدقيقة أمام باب البناية ، وهبط منها اثنان من المسعفين ، يحملان محفة أنيقة ..

ولم تمض ثلاث دقائق أخرى ، حتى كانت سيارة الإسعاف تنطلق مبتعدة ، وبداخلها الرجلان والمسعفان والهدف المنشود ..

دونا (كارولينا) .

* * *

٨ــ الخــزانة ..

انطلقت الساعة الكبيرة ، فى بهو قصر دون (ميديتشى) ، تعلن تمام منتصف الليل ، وبلغت دقاتها مسامع (أدهم) ، وهو يرقد فى فراشه ، فى حجرة الحارس الخاص ، فى الطابق السفلى من القصر ، فألقى نظرة سريعة على ساعة يده ، ليتأكّد من توافقها مع ذلك التوقيت ، ثم غمغم فى إرهاق :

ـ كل هذا ومازلنا فى منتصف الليل .. من الواضح أنه كان يومًا طويلاً للغاية .

لم يكن قد حصل على كفايته من النوم ، منذ هبط بمظلته فى حديقة القصر ، منذ أربع وعشرين ساعة ، لذا فقد أسبل جفنيه ، وترك جسده يسترخى ، لينعم ببعض النوم ، يستعيد به نشاطه ، قبل أن يواصل مهمته فى الصباح التالى ..

ولدقائق لا تتجاوز العشر ، غرق (أدهم) بالفعل فى نوم عميق ، تتوق إليه كل خلية من خلاياه ، و ...

وفجأة ، استيقظ ..

لم يكن هناك سبب محدود لاستيقاظه على هذا النحو ، ولكن يبدو أن كثرة معايشة الخطر تنمّى فى

المرء غريزة خاصة ، تتجاوز حدود الحواس الخمس المعروفة ، وتوقظ تلك الحواس الكامنة فى العقل الباطن ، وفى ثنايا المخ ، فتنمو وتنشط ، وتصير أكثر تألقًا وكفاءة ، من الحواس العادية ..

ففى أعماق (أدهم) ، انطلق جهاز إنذار حيوى عجيب ، أيقظ حواسه كلها دفعة واحدة ، وأنبأه بأنه هناك خطر قريب ..

قريب للغاية ..

وفتح (أدهم) عينيه دفعة واحدة ، وخفق قلبه فى عنف ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء الأسود ، الجاثم فوق صدره ..

كان عنكبوتًا أسود ضخمًا ، فى حجم قطة صغيرة ، من ذلك النوع المعروف باسم (الأرملة السوداء)(*) له مظهر بشع مخيف ، بأطرافه المشعرة الطويلة ، وعيونه الدقيقة العديدة .

وكان يتحرك فى بطء ، متجهًا إلى عنقه ووجهه ..

وسيطر (أدهم) على مشاعره بإرادة فولاذية ، وهو

(*) الأرملة السوداء : نوع من العقارب السامة ، التى تعيش فى الغابات ، ويطلق هذا الاسم على أنثاه بالتحديد ، نظرًا لأنها تقتل الذكر فور انتهائه من عملية التلقيح ، كما أنها شديدة السمية والشراسة ..

يراجع كل معلوماته عن ذلك النوع من العقارب السامة ..

كان يعلم أن ذلك العنكبوت ، مثله مثل كل المخلوقات الأخرى ، فى عالم الحيوان والطير والحشرات ، لا يهاجم لمجرّد الهجوم ، وإنما يفعل هذا عندما يستشعر الخطر ، فينقضّ للدفاع عن نفسه ..

إذن فالخطوة الأولى ، هى ألا تستشعر (الأرملة السوداء) الخطر ..

ولهذا لاذ (أدهم) بالصمت والسكون التامين ، وكتم أنفاسه ، والعنكبوت السام يخطو فوق عنقه بأطرافه الثمانية المشعرة ، ذات الملمس البشع ، الذى يثير فى النفس قشعريرة عجيبة ..

وفى بطء ، انتقل العنكبوت من عنقه إلى وجهه ، وجاس فيه بضع لحظات ، ثم تسلّل إلى شعره ، واستقرّ فوقه لحظات أخرى ، وهو يعبث فيه بأطرافه ..

وراح (أدهم) يتنفّس فى بطء ، حتى لا يشعر العنكبوت بالأنفاس التى تتردّد فى صدره ، وأرخى أطرافه تمامًا ، حتى يبدو أشبه بجسم ميت ، وانتظر فى صبر مدهش ، حتى سأم العنكبوت جلوسه فوق شعره ، فتحرك منه إلى الوسادة ، و ...

ووثب (أدهم) خارج الفراش فى حركة مباغتة سريعة ، جعلت العنكبوت ينقضّ على الموضع الذى كان يحتلّه فى عنف شرس ، ولكن (أدهم) اختطف المصباح المجاور للفراش ، وهوى به على العنكبوت السام مرتين ، حتى سحقه تمامًا ، فالتقط نفسًا عميقًا متوترًا ، وهو يقول :

ـ هذه الرسالة تحمل توقيع ذلك الوغد (آرتى) بلا شك .

كان الانفعال قد أطار النوم من عينيه تمامًا ، فوقف يتطلّع إلى العنكبوت بضع لحظات ، قبل أن يغمغم :

ـ فليكن .. رب ضارة نافعة .. أعتقد أن الليلة ستشهد نشاطًا إضافيًا ، بسبب (آرتى) هذا .

قالها ، وارتدى ثيابه ، وحذاءً مطاطيًا ، ثم غادر حجرته فى خفة ، وسار على أطراف أصابعه ، حتى حجرة مكتب (ميديتشى) ، التى دلف إليها بسرعة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم وقف يدير عينيه فيها ، معتمدًا على ضوء القمر ، الذى يتسلّل عبر النافذة ، التى تمّ إصلاحها ، وتمتم :

ـ ترى هل تخفى خزانتك بطريقة مبتكرة يا (ميديتشى) ، أم أن نمطيتك ستنعكس على هذا أيضًا ؟

ولكن (أدهم) اختطف المصباح المجاور للفراش ، وهوى به على العنكبوت السام مرتين ..

توقَّف بصره عند لوحة كبيرة ، على الجدار المقابل لمكتب (ميديتشى) مباشرة ، فاستطرد فى سخرية :

ـ سيحبطنى كثيرًا أن أجد الخزانة خلف هذه اللوحة .

اتجه نحو اللوحة ، وجذب جانبها ، فدارت حول محور فى جانبها الآخر ، لتكشف خزانة متوسِّطة الحجم خلفها ، جعلت (أدهم) يقول متهكمًا :

ـ مستحيل !.. خزانة نمطية ، فى مكان نمطى .. يبدو أنك لا تستحق موقعك عن جدارة يا دون .

قضى بضع لحظات فى فحص الخزانة ، ثم راحت أصابعه الخبيرة المدرَّبة تعبث بقفلها القديم ، ذى الأرقام السرية ، وأذنه تلتصق بباب الخزانة ، حتى سمع تكة خافتة ، تعنى أن رتاجها قد انفتح من الداخل ، وهنا تحسَّس (أدهم) الجدران ، وراح يدقّ عليها فى حرص ، ليتأكَّد من أن الخزانة لا تتصل بأية أجهزة إنذار تقليدية ، ثم فتحها فى حذر ، و ...

وفجأة ، دوت صفارة إنذار قوية ، وراحت أضواء الحجرة تتألق ، فتراجع (أدهم) فى سرعة ، قائلاً :

ـ يبدو أننى لم أحسن تقدير ذكاءك يا دون (ميديتشى) .

كان من الواضح أن هذه الخزانة مجرَّد فخ ، لخداع

أى لص تقليدى ، بدليل أنها كانت خاوية تمامًا ، وأن صفارة الإنذار تكفى لإيقاظ كل من يقيم فى القصر ، وحتى من يجاوره ، على مسافة نصف الكيلومتر ، ولقد سمع (أدهم) بالفعل وقع أقدام تعدو فى اتجاه الحجرة ، وتغلق طريق الفرار الوحيد ..

ـ لقد حاصروه هذه المرة ..

حاصروه تمامًا ..

* * *

استيقظت (ليديا) من نومها ، على الرنين المتصل لجرس الباب ، فالتقطت مسدسها من تحت وسادتها ، واتجهت فى سرعة وحذر نحو الباب ، وهى تسأل :

ـ من هناك ؟

أتاها صوت (برنارد) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ إنه أنا يا (ليديا) .. افتحى .. أريد أن أتحدّث إليك .

كانت ترتدى ثوبًا قصيرًا للغاية من ثياب النوم ، إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تفتح الباب ، وهى تقول :

ـ هل تعرف كم الساعة الآن يا (برنارد) ؟

دلف المحامى إلى منزلها ، والانفعال يطلّ من كل خلجة من خلجاته ، وهو يلوّح بيده ، قائلاً :

ـ أعرف يا (ليديا) .. إنها الواحدة تقريبًا ، ولكن ما لدى بالغ الخطورة ، ولا يحتمل التأجيل .

سألته فى شىء من القلق :

ـ وماذا لديك يا (برنارد) ؟

تطلّع إليها ، وهو يجيب فى حماس :

ـ لقد تعرّفت الرجل .

سألته فى حيرة :

ـ أى رجل ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ذلك الذى ينتحل شخصية (بل هوراشيو) .. كنت واثقًا من أننى قد رأيته من قبل ، ولقد كنت على حق .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تسأله :

ـ ومن هو يا (برنارد) ؟

أمسك كتفيها فى قوة ، من فرط انفعاله ، وهو يجيبها :

ـ شيطان (المافيا) .. ألا تذكرينه ؟

ردّدت فى دهشة :

ـ شيطان (المافيا) ؟!..

أجابها بحماس واضح :

ـ نعم يا (ليديا) .. شيطان (المافيا) .. ضابط المخابرات المصرى ، الذى تسبَّب فى إلقاء القبض على دون (ريكاردو)(*) ، وفى مصرع دون (مايكل)(**) ، والذى هزم (المافيا) فى (تكساس) ، وأسقط دون (ريكاردو) صريعًا بأزمة قلبية(***) ... لقد أطلقوا عليه لقب (شيطان المافيا) ، عندما شنّ عليهم حربًا منفردة فى قلب (إيطاليا)(****) ، وهزمهم وحده شر هزيمة ، مما تسبَّب فى النهاية فى مقتل (جروشومانيانى) ، وصعود دونا (كارولينا) إلى قمة السلطة والزعامة فى المنظمة(*****) .. لست أدرى كيف نسيته .. إنه (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

أطلّت من عينيها قنبلة من الدهشة ، وهى تهتف :

ـ (أدهم صبرى) ؟!.. ولكن هذا الرجل صديق لدونا (كارولينا)(******) !

(*) راجع قصة (قناع الخطر) .. المغامرة رقم (٣) .

(**) راجع قصة (حلفاء الشر) .. المغامرة رقم (١٢) .

(***) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم (١٩) .

(****) راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .

(*****) راجع قصة(الضربة القاضية) .. المغامرة رقم (٤٩) .

(******) راجع قصة (دونا كارولينا) .. المغامرة رقم (٦٠) .

هتف (برنارد) :

ـ بالضبط .. وهذا يفسّر كل شىء .. كل شىء .

ثم ابتعد عنها ، ولوَّح بيده ، مستطردًا :

ـ هيا يا (ليديا) .. هيا .. سنذهب على الفور إلى دون (ميديتشى) ، ونبلغه مالدينا من معلومات .

هتفت فى دهشة :

ـ فى هذه الساعة ؟!

أجابها منفعلاً :

ـ هناك من الأخبار ما لا يحتمل التأجيل .. سنوقظ دون (ميديتشى) ، أو ننتزعه من فراشه لو لزم الأمر ، ونبلغه من يكون هذا الذى يمنحه كل ثقته .

سألته فى حذر :

ـ لِمَ لَمْ تتصل به هاتفيًّا ؟

أجابها ملوِّحًا بيده فى توتر :

ـ كدت أفعل هذا ، ولكننى خشيت أن يكون هذا الرجل قد وضع أجهزة تصنُّت فى الهاتف ، ولست أدرى ماذا يصبح رد فعله ، عندما يعلم أننا كشفنا أمره .. كلاَّ .. فى هذا الأمر بالذات ، الأفضل أن نذهب بأنفسنا .. هيا .. دعينا لا نضيع الوقت ..

صمتت لحظة ، وهى تتطلّع إلى وجهه ، قبل أن تقول :

- فليكن .. انتظرنى قليلاً .

واتجهت إلى حجرة نومها فى خطوات واسعة ، وأغلقت بابها خلفها ، ثم التصقت به ، وراح قلبها يخفق فى عنف ، وهى تتمتم فى انفعال :

- رجل مخابرات مصرى ؟!.. من كان يتوقّع هذا ؟!

وظلّت جامدة فى موضعها لحظات ، ثم اتجهت مباشرة إلى دولابها ، وفتحت أحد أدراجه ، والتقطت منه شيئًا ، تطلّعت إليه فى راحتها لحظات ، قبل أن تبتسم فى خبث ، قائلة :

- إذن فهذا هو سرك الغامض أيها الحارس الخاص .

وكان هذا الشىء ، الذى تتطلّع إليه مجرّد شارب .. شارب (أدهم صبرى) المستعار ..

* * *

لم يكن الوقت فى صالح (أدهم) أبدا ..

إنه يقف داخل حجرة مكتب دون (ميديتشى) ، التى يندفع نحوها الجميع فى توتر ، بعد انطلاق جرس الإنذار ، وخارجها فى الحديقة وقف رجال الحراسة ، ومعهم كلابهم المتوحشة ، وأسلحتهم المتحفزة ..

ولم يكن أمامه سوى ثوان معدودة ، للعثور على مخرج من هذا المأزق ..

وكعادته ، فى مثل هذه المواقف ، انطلق عقل (أدهم) يعمل فى سرعة مذهلة ، ويدرس الموقف كله فى ثانية أو أقل ، ثم يتخذ القرار ..

وبضربة واحدة ، أعاد (أدهم) باب الخزانة واللوحة إلى موضعها ، ثم انتزع المصباح الكبير من ركن الحجرة ، وقطع سلكه الطويل ، وانتزع منه قطعة قصيرة ، لواها ليصنع منها ما يشبه القوس ، ثم دسّ طرفيها فى مفتاح الإنارة ..

ودوت فى المكان طرقعة مكتومة ، مع حدوث قصور مباغت فى الدائرة الكهربية ، أدّى إلى انقطاع التيار فى المكان كله ..

كان (أدهم) يعلم أن هذا الانقطاع لن يستغرق أكثر من ثوان معدودة ، يبدأ بعدها المولّد الكهربى فى العمل ، وفتحه بسرعة ، ليسمح للقادمين باقتحام المكان ، قبل أن يمتزج بهم ، هاتفًا :

- من قطع التيار الكهربى ؟!.. حاصروا المكان .. لا تسمحوا لأحد بالخروج .

عادت الأضواء تسطع ثانية ، وهو يقف بين



وبضربة واحدة ، أعاد (أدهم) باب الخزانة واللوحة إلى موضعها ..

(آرتى) ورجاله ، ويدير عينيه فى المكان ، وكأنه يبحث عن اللص المزعوم ، فحدَّق فيه (آرتى) فى عصبية ، قبل أن يقول فى حدة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟.. من أين أتيت ؟

أجابه (أدهم) فى سخرية :

ـ إننى أفعل نفس ما تفعله أيها الوغد ، ولقد أتيت من حجرتى مباشرة .

وصل (ميديتشى) فى هذه اللحظة ، وهو يربط معطفه المنزلى ، ويقول فى شحوب :

ـ ماذا حدث ؟

أجابه (آرتى) فى عصبية :

ـ انطلق جهاز الإنذار ، ثم انقطع التيار الكهربى ، وأعتقد أن أحدهم كان يحاول سرقة الخزانة .

هتف (ميديتشى) فى ارتياع :

ـ الخزانة ؟!

قالها واندفع نحو الجدار المجاور لمكتبه ، إلا أنه لم يلبث أن توقَّف بغتة ، واستدار هاتفًا :

ـ ولكن أين هو ؟.. أين هذا السارق ؟

استدار (آرتى) يشير إلى (أدهم) ، قائلاً فى غضب :

- ها هو ذا .

ارتفع حاجبا (ميديتشى) فى ارتياع ، وهو يهتف :

- (هوراشيو) ؟!

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يقول :

- لا تصدّق هذا الحقير يا دونا .. سل رجاله ، الذين اقتحموا معنا الحجرة .. هل رآنى أحدهم داخلها ..

أدار (ميديتشى) عينيه إلى الرجال ، وكأنه يحيل السؤال إليهم ، فبدت عليهم الحيرة ، وارتسم على وجوههم الارتباك ، وقال أحدهم ، وهو يهرش رأسه :

- فى الواقع يا دونا .. إننى لم أنتبه إلى وجود (هوراشيو) ، إلا بعد أن أصبحنا داخل الحجرة ، وقبلها كان الموقف مرتبكا ، و ...

قاطعه آخر بسرعة :

- هذا ينطبق علىّ أيضًا يا دونا .

وهتف ثالث :

- وأنا أيضًا .

صرخ (آرتى) فى حنق غاضب :

- لا تصدقهم يا دونا .. هذا هو السارق .. إنه الشخص الوحيد ، الذى انضمّ إلينا فى الآونة الأخيرة .

انعقد حاجبا (ميديتشى) فى غضب ، وهو يسأل (أدهم) :

- ما الحقيقة فيما يقولون يا (هوراشيو) ؟

واجهه (أدهم) بجنان ثابت ، وهو يجيب :

- الحقيقة هى أن أحدهم يكره وجودى هنا يا دون ، ويكره نجاحى فيما فشل هو فيه ، حتى أنه يسعى لخلخلة ثقتك بى ، وإزاحتى من هنا بأى ثمن .

صاح (آرتى) :

- أنت كاذب .

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى صرامة :

- حقًا ؟!.. من حاول قتلى إذن هذا المساء .

قالها ، وهو يخرج العنكبوت السام القتيل من جيبه ، ويلقيه عند قدمى (آرتى) ، الذى قفز متراجعًا ، وشحب وجهه بشدة ، وحدّق فى العنكبوت المسحوق بارتياع ، بدا أشبه باعتراف صريح ، جعل الغضب يغمر وجه دون (ميديتشى) ، وهو يرمق (آرتى) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- ألديك تفسير لهذا يا (آرتى) ؟

حاول القاتل المحترف أن يتماسك ، إلا أن كلماته خانته ، وهى تخرج من بين شفتيه مرتبكة متوترة :

- دون .. يمكننى أن أشرح لك .. إننى ...

قاطعه (ميديتشى) بصيحة هادرة :

ـ كفى .. لن أسمع كلمة واحدة زائدة .. لقد انتهى الأمر ، ولن ..

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع فجأة رنين الهاتف على مكتبه ، فالتقط سمّاعته بحركة آلية ، ووضعها على أذنه ، قائلاً بصوت لم يفارقه توتره بعد :

ـ من المتحدّث ؟

أتاه صوت رئيس الشرطة ، وهو يقول فى توتر :

ـ إنه أنا يا دون .. لدى خبر بالغ الأهمية ، جعلنى أجرؤ على محادثتك ، فى هذا الوقت المتأخّر .

سأله (ميديتشى) فى اهتمام بالغ ، جذب انتباه (أدهم) بشدة :

ـ أى خبر هذا أيها الرئيس ؟

أدرك (أدهم) على الفور أن المتحدّث هو رئيس الشرطة ، فأرهف سمعه جيدًا ، محاولاً التقاط أى جزء من الحديث ، الذى بدا له أنه يخصّ دونا (كارولينا) حتمًا ، ولكنه لم يسمع صوت رئيس الشرطة ، وهو يجيب :

ـ لقد تم اختطاف دونا (كارولينا) فى وضح النهار .

هتف (ميديتشى) :

ـ اختطاف ؟!.. يالها من فكرة !.. ألم تجد وسيلة أفضل من هذه يا رجل ؟.. نصف (نيويورك) ستتصوّر الآن أننى المسئول عن اختطاف دونا (كارولينا) هذا ، وستثور ثائرة العائلات ، و ...

قاطعه رئيس الشرطة فى توتر بلغ ذروته :

ـ مهلاً يا دون .. صحيح أن دونا قد اختُطِفَتْ ، إلا أننا لسنا من فعل هذا .

ارتفع حاجبا (ميديتشى) فى شدة ، حتى خُيِّل لـ (أدهم) أنهما سيقفزان خارج وجهه ، وهو يصرخ :

ـ لستم ماذا ؟!.. أى قول هذا يا رجل ؟.. هل تعنى أن أحدهم قد اختطف دونا (كارولينا) من قلب (نيويورك) ، فى وضح النهار ، وأن هذا الـ (أحدهم) ليس أنتم ؟!.. من فعلها إذن ؟

أجابه رئيس الشرطة فى عصبية :

ـ لا أحد يدرى يا دون .. لقد تصوّرت أنك فعلتها ، ولكننا نبذل قصارى جهدنا للبحث عن الفاعل .. صدقنى يا دون .. إنها أعجب جريمة خطف واجهناها ، طوال عملنا بالشرطة .. تصوّر أن المختطفين لم يريقوا قطرة دم واحدة .. لقد خدّروا الجميع ، وأزاحوهم عن الطريق

فى براعة مذهلة ، ثم اختطفوا دونا ، وابتعدوا ، دون أن يتركوا خلفهم أدنى أثر .

وفى هذه المرة ، لم يستطع (ميديتشى) أن ينطق بحرف واحد ، فقد بدا له الأمر أشبه بلغز ..

لغز غامض عجيب ..

* * *



٩ ـ المحامى ..

استعادت دونا (كارولينا) وعيها بغتة ، ففتحت عينيها عن آخرهما ، وحدّقت فى سقف المكان لحظات ، وهى تحاول استيعاب الموقف ، وتستعيد ذاكرتها القريبة تدريجيًا ..

كانت ترقد داخل حجرة أنيقة ، فوق فراش وثير ، وفوقها غطاء حريرى أزرق ، يتناسب مع لون مصباح السقف ، والجدران السماوية ، والأثاث ، وحتى تلك اللوحات الرقيقة ، التى تم توزيعها على الجدران فى تناسق بديع ..

ونهضت دونا تدير عينيها فى المكان ، ولاحظت الستار الكبير الأزرق ، الذى يوحى بوجود نافذة ما ، فقفزت من فراشها ، وأزاحته بسرعة ، وانعقد حاجباها فى توتر ، عندما رأت الحاجز الزجاجى السميك خلفه ، والذى يطلّ على حجرة أخرى مجاورة ، لا تحوى سوى فراش صغير ومكتب بسيط ، وذات جدران عارية بيضاء ، فأعادت الستار إلى موضعه ، واستدارت إلى بابين فى طرفى الجدار المقابل ، ثم اتجهت إلى أحدهما وفتحته ، ورأت خلفه حمامًا بالغ الأناقة ، يغطى أرضيته

وجدرانه سيراميك أزرق ، له نقوش جميلة متناسقة ، فأغلقته ، واتجهت إلى الثانى ، الذى قادها إلى ردهة متوسّطة ، تحوى أريكة وثلاثة مقاعد وثيرة ، ومكتبة صغيرة ، تضمّ جهاز (تليفزيون) ، وجهاز استماع حديث ، وعدد من اسطوانات الليزر الموسيقية ، راجعتها بسرعة ، وانعقد حاجباها ، وهى تغمغم :

- (سيلفى فارتان) .. (سيناترا) .. (شيرلى باس) .. عجبًا !.. إنها اسطواناتى المفضّلة .

لم يكن هذا الشىء الوحيد الذى تفضّله فى المكان ، فعلى المنضدة ، وجدت صندوقًا من السجائر الخاصة بها ، وفى المبرّد كانت تستقر دستة من زجاجات العصائر ، التى تميل إليها ، وحتى الكتب القليلة فى المكتبة ، كانت كلها من مؤلفات كتّابها المفضلين ..

باختصار ، كان المكان معدًّا خصيصًا لمعيشتها ، فى دقة أدهشتها ، وجعلتها تتساءل :

- تُرى أين أنا بالضبط ؟.. ومن وضعنى هنا ؟

لم تكد تتم تساؤلها ، حتى سمعت دقات هادئة على باب الردهة ، مع صوت يقول بالإيطالية :

- دونا (كارولينا) .. هل تسمحين لى بالدخول ؟

كان الصوت هادئًا ، واللهجة مهذّبة للغاية ، فتراجعت قائلة :

- وهل أملك اتخاذ القرار حقًّا ؟

أجابها صاحب الصوت :

- بالتأكيد يا سيّدتى .. هل تسمحين لى بالدخول ، أم أنصرف ؟!

كان من الواضح أنها لم تنس أنوثتها بعد ، على الرغم من زعامتها لكل منظمات (المافيا) ، فقد أسرعت إلى مرآة قريبة ، وتأكّدت من حسن هندامها ، وتصفيفة شعرها ، وبقايا الطلاء على شفتيها ، قبل أن تقول :

- تفضّل بالدخول .

وتعلّق بصرها بالباب ، الذى انفتح فى رفق ، وأطلّ منه رجل أنيق ، هادئ الملامح ، دلف إلى المكان بابتسامة وسيمة ، وهو يقول :

- كيف حالك يا دونا ؟.. تقبّلى اعتذارى للوسيلة التى استخدمناها ، لإحضارك إلى هنا ، ولكننى أتعشّم أن تكونى قد حصلت على قدر كاف من الراحة فى ضيافتنا .

هتفت محنقة :

- ضيافتك ؟!.. هل تعتبر هذا مجرّد ضيافة ؟!.. المضيف لا يختطف ضيفه أبدًا يا صاح ، ولا يقوم بتخديره ليفعل ذلك .

حافظ الرجل على ابتسامته وأسلوبه المهذّب ، وهو يقول :

ـ كنا مضطرين ؟

سألته فى حيرة :

ـ وما الذى اضطركم لهذا ؟

أخرج من جيبه ورقة ، ناولها إياها ، قائلاً :

ـ هذه .

اختطفت الورقة من يده فى لهفة ، وطالعتها فى سرعة ، ثم ارتسمت الدهشة البالغة على وجهها ، وهى تهتف :

ـ ربّاه !.. هل يعنى هذا أنكم ...

قاطعها الرجل ، وهو يضع بطاقته أمامها ، قائلاً :

ـ نعم يا دونا (كارولينا) .. إنه يعنى ما فهمتيه بالضبط .

وحدّقت دونا فى البطاقة طويلاً ، وقد بدا لها الأمر مدهشًا ..

مدهشًا للغاية ..

* * *

بدا دون (ميديتشى) ثائرًا للغاية ، وهو يقطع حجرة مكتبه جيئة وذهابًا ، ويقول فى حدة :

ـ لست أفهم ما حدث أبدًا .. كان المفروض أن يقوم رئيس الشرطة بالتخلّص من (كارولينا) ، على أن يبدو الأمر أشبه بالحادث ، ولكن بعضهم سبقه إلى التحرك ، واختطف دونا ، فمن يكون هذا المختطف ؟!.. ولماذا فعل ما فعل ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ ربما كانت عصابة منافسة .

التفت إليه (آرتى) فى حنق ، قائلاً :

ـ هذا يثبت أنك لا تفقه شيئًا عن عالم (المافيا) .

أجابه (أدهم) فى برود :

ـ على الأقل أنا أعلم الكثير عن عالم الأوغاد .

ضمّ (آرتى) قبضته ، قائلاً فى حدة :

ـ هل تظن هذا ؟

وهنا صاح فيه (ميديتشى) فى غضب :

ـ كفى .. قلت : إننى لن أسمح بالمشاجرات ثانية .. ألا يمكنكما تقدير الأمر .. لقد انطلق جرس الإنذار المتصل بالخزانة ، لأوّل مرة منذ أكثر من عشر سنوات ، وهذا يعنى أن شخصًا ما قد تسلّل إلى هنا ، وكلاكما يفهم الآخر بأنه المسئول عن هذا ، وفى الوقت نفسه اختطف أحدهم دونا (كارولينا) بعملية

بالغة الجرأة ، من قلب (نيويورك) ، بعد أن خدَّر كل حراسها ، وهذا يعنى أننا نواجه موقفًا لا مثيل له ، وأن الحرب قد اشتعلت بالفعل ، ولم يعد هناك مجال للعبث أو المشاحنات الداخلية .

أشار (آرتى) إلى (أدهم) ، وهو يهتف :

ـ صدقنى يا دون .. صدقنى قبل فوات الأوان .. هذا القادم الجديد هو المسئول عن كل هذا .. مرنى بقتله يا دون ، قبل أن ينهار كل شىء ، أو ابعده عنك فى هذه الظروف على الأقل .

هتف (ميديتشى) :

ـ كفاك غيرة وحقدًا يا (آرتى) .. هل نسيت أن (هوراشيو) قد خاطر بحياته لإنقاذى هذا الصباح ، وأنه تحرَّك قبل أن يستلّ أحدكم مسدسه ؟. ماذا كنا سنفعل ، لو لم يكن موجودًا ؟

اعتصر (آرتى) قبضته فى ثورة ، وهو يقول :

ـ فليكن يا دون .. فليكن .. لا تقل يومًا إننى لم أحذِّرك .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلى للقصر ، فضغط (ميديتشى) زر الاستماع ، قائلاً فى عصبية :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟

أتاه صوت حارس البوَّابة ، قائلاً :

ـ مستر (برنارد) هنا مع سكرتيرته ، ويصرّ على رؤيتك فورًا يا دون .

رفع (ميديتشى) حاجبيه فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ (برنارد) ؟!.. ماذا أصاب الجميع هذه الليلة ؟!.. ألم ينم أحد فى (نيويورك) بعد ؟!!

ثم أجاب حارس البوَّابة :

ـ دعه يأتى ، ولنر ماذا يريد أيضًا .

شعر (أدهم) بشىءٍ من القلق ، لقدوم (برنارد) فى هذه الساعة المتأخرة ، ولكنه حافظ على هدوئه ، وهو يسأل (ميديتشى) :

ـ هل تعتقد أن لديه بعض المعلومات بخصوص اختطاف دونا يا دون ؟

عقد (ميديتشى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ من يدرى ؟.. ربما كان الأمر كذلك ، وعلى أية حال ، لن تمرّ دقائق معدودة ، حتى يضع (برنارد) بنفسه حدًّا لتساؤلاتك هذه .

كان المفروض بالفعل أن يستغرق (برنارد) ما بين دقيقة ونصف ودقيقتين ، ليصل بسيارته من

البوّابة إلى القصر ، ولكنه استغرق بالفعل عشر دقائق كاملة ، قبل أن يدلف مع سكرتيرته إلى حجرة مكتب (ميديتشى) ، الذى استقبله قائلاً فى عصبية :

ـ ما هذا يا (برنارد) ؟.. هل كنت تستقل سلحفاء ؟

تجاهل (برنارد) وجود (أدهم) تمامًا ، وهو يتوجّه بحديثه إلى (ميديتشى) ، قائلاً :

ـ معذرة يا دون .. كان علىّ أن أتخذ بعض الترتيبات أوّلاً .

هتف (ميديتشى) فى دهشة مستنكرة :

ـ ترتيبات ؟!.. فى قصرى أنا ؟!

أجابه (برنارد) :

ـ نعم يا دون .. إنها ترتيبات ضرورية للغاية ، وأنا واثق من أنك ستشكرنى على اتخاذها كثيرًا ، عندما تعرف سببها .

جلست (ليديا) على مقعد مجاور لمكتب (ميديتشى) ، وراحت تنقر بأظافرها على سطح المكتب الكبير ، و (ميديتشى) يسأل (برنارد) :

ـ وما سبب هذه الترتيبات يا (برنارد) ؟

أجابه المحامى فى شىء من الانفعال :

ـ لقد كشفت أمرًا غاية فى الأهمية يا دون .

سأله (ميديتشى) فى لهفة :

ـ بخصوص اختطاف (كارولينا) .

تراجع المحامى كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ هل اختطفوا دونا (كارولينا) ؟

صاح به (ميديتشى) :

ـ لو أنك لا تعلم شيئًا عن هذا ، فما الذى يدعوك لزيارتى ، فى الواحدة والنصف صباحًا ، وما الذى ...

قاطعه صوت صارم يجيب :

ـ جاء ليخبرك أننى لست (هوراشيو) الحقيقى يا دون .

التفتت العيون كلها فى ذهول إلى (أدهم) ، الذى وقف فى نهاية الحجرة ، وهو يصوّب مسدسه إلى الجميع فى صرامة ..

واتسعت عينا (ميديتشى) ، وهو يهتف :

ـ (هوراشيو) .. ماذا تقول ؟

أجابه (أدهم) ساخرًا :

ـ لا تخاطبنى باسم (هوراشيو) السخيف هذا يا دون .. من الأفضل أن تخاطبنى باسمى الحقيقى .. اسم (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وكانت مفاجأة للجميع ..

* * *

عندما وصل (برنارد) إلى قصر (ميديتشى) ، ركّز كل اهتمامه على تعبئة طاقم الأمن ، وتجهيز أكبر قدر من المفاجأة لـ (أدهم) ؛ حتى يضمن السيطرة التامة على الموقف ، عندما يعلن حقيقة شخصيته ..

لذا فقد كانت صدمته عنيفة للغاية ، عندما جاءت المفاجأة من نصيبه هو ..

ولا أحد يدرى لماذا أعلن (أدهم) شخصيته على هذا النحو ، وبهذا الأسلوب الصارم المباغت ؟!..

هل استشفّ بخبرته أن (برنارد) ما كان ليأتى ، فى هذه الساعة ، إلا لأنه توصّل إلى حقيقته ؟!..

أو أن غريزته أنبأته بأن هذه هى اللحظة المناسبة لهذا ؟

أم أنه هناك سبب آخر ..

سبب غامض !..

المهم أن (أدهم) قرّر فجأة كشف الأوراق كلها ، مما فجّر حالة من الذهول فى حجرة مكتب (ميديتشى) ، التى ازدحمت برجاله ، مع (آرتى) و (برنارد) و (ليديا) ، واكتست بصمت مطبق ، استغرق ثوان معدودة ، حدّق خلالها الجميع فى وجه (أدهم) ، قبل أن يصرخ (آرتى) :

- كنت أعلم .. كنت أعلم أنك زائف .

أجابه (أدهم) ساخرًا :

- أنت مجرّد غبى دموى سخيف ، جاهل حتى النخاع ، ولكنه يتصوّر نفسه أعلم العالمين ..

انتزع (برنارد) نفسه من المفاجأة ، فى هذه اللحظة ، وقال :

- مستر (أدهم) .. لا فائدة مما تفعله .. لقد أعددت الأمر قبل أن آتى إلى حجرة المكتب ، لأجعل فرارك مستحيلاً .. هل تعلم أنه هناك أربعة رجال يقفون خارج باب هذه الحجرة ، حاملين مدافعهم الآلية ، ولديهم أوامر مشدّدة بإطلاق النار عليك ، لو حاولت الخروج من هنا ، دون أمر مباشر من (ميديتشى) ، وخارج النافذة يقف عدد مماثل ، مع أربعة كلاب مدرّبة ، ولديهم الأوامر نفسها .. أضف إلى هذا طاقم الحراسة الأصلى عند البوّابة ، والأسوار العالية المكهربة ، و ...

قاطعه (أدهم) ساخرًا :

- خطأ أمنى آخر أيها المحامى .. لا تشرح خطتك لخصمك قط .

أجابه المحامى فى عصبية :

- إننى أشرحها لك ، لتعلم أنه لا فائدة من محاولة الخروج من هنا .

لوّح (أدهم) بسبّابته ، قائلاً :

- خطأ أيضًا أيها المحامى ، فلا توجد خطة أمنية بدون ثغرة ، ولقد أثبتَ هذا مرتين .

أجابه دون (ميديتشى) فى غضب هادر :

- أثبتّه مرتين فى الدخول يا رجل ، ولكنك لن تفلح فى الخروج ، إلا على جثتى .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، قائلاً فى صرامة :

- فكرة لا بأس بها يا دون .

ثم وثب فجأة ، متجاوزًا (آرتى) ورجاله ، ودفع المحامى جانبًا فى خشونة ، ثم أحاط عنق (ميديتشى) بساعده فى قسوة ، مستطردًا :

- دعنا نضعها موضع التنفيذ .

كان تحركه سريعًا مباغتًا ، حتى أن أحدًا لم ينتبه ، إلا وقد أصبح الزعيم فى قبضة (أدهم) بالفعل ، فصرخ (آرتى) :

- اللعنة !.. ألف لعنة !.. كان المفروض أن نقتله منذ البداية يا دون .

أجابه (ميديتشى) فى غضب مختنق :

- لم تفت الفرصة بعد يا (آرتى) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- رائع يا دون .. مازلت تحتفظ بروح معنوية عالية ، على الرغم من هذا .

أجابه (ميديتشى) فى غضب :

- على الرغم من ماذا يا رجل ؟!.. صحيح أنك تسيطر علىّ ، ولكنك مازلت داخل قصرى ، وكل من يحيطون بك من رجالى المخلصين ، وبعضهم أبنائى أو أحفادى ، ولا أحد سيسمح لك بهزيمة العائلة فى عقر دارها قط ، حتى ولو كان الثمن هو حياتى نفسها .

هتفت (ليديا) فى ارتياع :

- رباه .. مستحيل يا دون !.. من سيجرؤ على التضحية برب العائلة .

صاح فيها (ميديتشى) :

- ليس هذا من شأنك يا امرأة .

ولكنها واصلت فى ذعر :

- لا يمكننى تخيل هذا قط !.. لا يمكننى أن أتصوّر أن يقتل الرجال زعيمهم ، لمجرّد التخلّص من جاسوس واحد .

ومع قولها ، دفع (أدهم) (ميديتشى) نحو الباب ، وهو يلصق مسدسه برأسه ، قائلاً فى صرامة :

- أنا أيضًا لا أتصوّر هذا يا عزيزتى (ليديا) ، ولكن لن يضيرنا أن نضع الأمر موضع الاختبار .

ثم ضرب الباب بقدمه ، صائحًا :

ـ ابتعدوا ، وإلا نسفت رأسه ككرة مجوّفة .

ولم يكد بصر الرجال يقع على (أدهم) ، وهو يسيطر على الزعيم ، حتى خفضوا فوهات مدافعهم الآلية ، وتراجعوا فى توتر ، فاستل (آرتى) مسدسه ، وهو يقول فى غضب :

ـ اللعنة !.. لن يغادر هذا الحقير القصر أمام عيوننا هكذا .

ولكن المحامى هتف به :

ـ رويدك يا (آرتى) .. لن يغفر لك مخلوق واحد لو أصبت الدون ، ولو بخدش بسيط .

قهقه (أدهم) ضاحكًا ، وهو يدفع (ميديتشى) نحو السلّم ، قائلاً :

ـ هل سمعت يا دون ؟.. نفس ما توقّعته بالضبط .. إنهم يفضلون فرارى ، على أن يصيبوك بأدنى ضرر .

صاح الزعيم فى حنق شديد :

ـ مخطئون .. إنهم لا يعرفون الكثير عن طباع الصقليين يا رجل .. وبخاصة الصقليين القدامى .. إنهم يفضلون الموت ، على الشعور بأن خصمًا أمكنه السيطرة عليهم .

ثم ارتفع صوته ، وهو يصرخ فى ثورة جنونية :

ـ لا تقفوا هكذا كالأوغاد .. أطلقوا النار .. أطلقوا النار حتى ولو قتلتمونى .. المهم ألا تسمحوا له بالفرار .

ولكن المحامى صرخ بدوره :

ـ لا لا تفعلوا هذا .. من العار أن تقتلوا زعيمكم .

ارتبك الرجال واضطربوا ، إزاء هذه الأوامر المتضادة ، واستغل (أدهم) هذا الارتباك ، ليدفع (ميديتشى) نحو السلم أكثر وأكثر ، وهو يراقب الرجال فى حذر ..

وفجأة ، انطلقت من خلفه رصاصة ..

رصاصة أطلقها أحد حرّاس القصر ، من أسفل السلم ، استقرّت فى ذراع (أدهم) اليسرى ، فاستدار بسرعة مدهشة ، وأطلق نيران مسدسه على الرجل ، و (آرتى) يصرخ :

ـ إنها فرصتكم .. هاجموا .

وفى نفس اللحظة التى أطاحت فيها رصاصة (أدهم) بمسدس الرجل ، انزلق دون (ميديتشى) من ذراعه المصابة ، وألقى نفسه أرضًا ، صارخًا :

ـ اطلقوا النار يا رجال .

وقبل أن تكتمل صرخته ، كانت فوهات المدافع الآلية قد ارتفعت نحو (أدهم) بالفعل ..

وانطلقت النيران كالسيل .

* * *

١٠ ـ الخطر ..

انتفض فجأة مؤشر جهاز رسم الإشارات المخية ، المتصل برأس (منى توفيق) ، فى حجرة العناية الفائقة ، فى ذلك المستشفى فى (نيويورك) ، وراح يرسم منحنيات حادة عنيفة ، جعلت الممرضة تهرع إلى الطبيب المعالج ، هاتفة :

ـ أسرع يا سيّدى .. هناك أمر عجيب يحدث هنا .

اندفع الطبيب أمامها إلى الحجرة ، ولحق به ثلاثة أطباء آخرون ، وراح الثلاثة يفحصون (منى) فى اهتمام شديد ، قبل أن يقول أحدهم فى حيرة ، وهو يتطلّع مرة أخرى إلى منحنيات الجهاز الحادة :

ـ عجبًا !.. كل شىء فيها يعمل بما يتناسب مع غيبوبتها العميقة .. النبض لا يتجاوز ثلاثين نبضة فى الدقيقة الواحدة ، وضغط الدم معتدل ، وحتى معدّلات التنفس وحركة الجفنين ، فما سر هذه الإشارات الفائقة ، التى تنطلق من مخ ، يفترض أنه غارق فى سبات عميق ؟!

أجابه أحد زملائه فى حيرة مشابهة :

ـ لا أحد يدرى .. وهى ليست المرة الأولى ، التى

يحدث فيها هذا .. هناك عامل مجهول ، يستحثّ عقلها فجأة ، من آن إلى آخر ، فيبث فى مخها نشاطًا غامضًا ، لا يتناسب أبدًا مع حالتها المستقرة .

سأله آخر :

ـ ألم تتوصلوا أبدًا إلى هذا العامل المجهول ؟!

هزّ الطبيب المعالج رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .. لقد فحصنا تلك الإشارات المستحثّة عشرات المرات ، ولم نجد سببًا علميًا واحدًا لحدوثها ، و ...

قاطعهم فجأة صوت يقول :

ـ (أدهم) فى خطر .

التفتوا إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ووقعت أبصارهم على (قدرى) ، الذى يقف بباب الحجرة شاحب الوجه ، متطلعًا إلى (منى) فى مزيج من الجزع والشفقة ، فسأله أحدهم فى عصبية :

ـ من أنت يا رجل ؟ وماذا تعنى بقولك هذا ؟

كرّر (قدرى) فى حزم :

ـ (أدهم) فى خطر ، وهذا هو السبب .

بدت الحيرة على وجوههم بشدة ، ولكن كبيرهم أجاب فى حرج :

ـ مستر (قدرى) يتحدَّث عن المليونير (صبرى) .. (أدهم صبرى) ، الذى يتحمَّل تكاليف علاج هذه الحالة ، وشقيق الطبيب العالمى الدكتور (أحمد صبرى) ، الذى يحضر لفحصها أسبوعيًا .

لم يمح هذا الحيرة من وجوههم ، فسأله أحدهم :

ـ وما علاقة مستر (أدهم) هذا بما يصيب مخها ؟

أتاه الجواب على لسان (قدرى) ، وهو يقول :

ـ (أدهم) زميل لها فى عملها ، ولقد خاضا الكثير معًا ، ولسبب ما ، فإن عقلها يستشعر كل ما يمر به (أدهم) من خطر ، ويتفاعل على النحو نفسه فى كل مرة .

ارتسمت الدهشة على وجوههم ، وهتف أحدهم :

ـ هذا غير علمى .

أجابه (قدرى) فى صرامة :

ـ ولكنه حقيقى .. ما تمرّ به (منى) الآن ، لا يعنى إلا أمرًا واحدًا .. أن (أدهم) يواجه خطرًا .

والتقى حاجباه فى صرامة أكثر ، وهو يضيف :

ـ خطرًا داهمًا ..

* * *

أكثر ما يتميَّز به (أدهم) ويميِّزه ، هو سرعة

استجابته المدهشة فى مواجهة الخطر ، وقدرته المذهلة على استيعاب الموقف الذى يواجهه ، والتعامل معه بسرعة ومهارة ، يبهران العدو قبل الصديق ..

وفى تلك اللحظة ، على قمة سلم قصر دون (ميديتشى) ، كان على (أدهم) أن يقيِّم الموقف بسرعة ، ويتخذ قراره ، ويضعه موضع التنفيذ ..

ولكن بشرط واحد ..

ألا يتجاوز هذا نصف الثانية ..

والمدهش أن (أدهم) قد حافظ على هذا الشرط تمامًا ..

لقد رأى (أدهم) فوهات المدافع الآلية ترتفع نحوه ، فاستند بيده على حاجز السلم ، وعبره بقفزة مدهشة إلى الفراغ ، وترك جسده يسقط حرًّا من ارتفاع أربعة أمتار ، وما إن لامست قدماه أرض الردهة السفلى ، حتى انثنى جسده ، ثم انفرد ، ووثبت قدمه تركل الحارس فى وجهه بكل قوتها ..

وقبل أن يسقط جسد ذلك الحارس ، كان (أدهم) يتجاوزه بقفزة أخرى ، ومن خلفه صوت (آرتى) يدوى :

ـ اقتلوه .. مزقوه إربًا .. لا أريد أن يتبقّى منه ما يكفى لفحصه .

واندفع حاملوا المدافع الآلية نحو حاجز السلم ، وراحوا يطلقون نيرانهم فى غزارة ، ولكن (أدهم) كان قد بلغ الباب بالفعل ، والرصاصات تطارده ، على أرضية الردهة الرخامية ، فوثب خارج المكان ، وهو يهتف :

ـ خسرتم أيها الأوغاد .. ربما فى مرة قادمة .

رأى رجلين يندفعان نحوه ، وبيد كل منهما مدفعٌ آليٌّ ، فوثب فى الهواء ، ودار بجسده دورة رأسية بارعة ، ليهبط أمامهما مباشرة ، وهو يقول :

ـ ألديكما عمل عاجل ؟

قالها وهو يحطِّم فك أحدهما بلكمة ساحقة ، ثم يثب ليركل أنف الثانى بقدمه ، ثم انحنى يلتقط مدفع أحدهما ، هاتفًا :

ـ ماذا أصاب جاذبيتى هذا المساء ؟!.. كل من يلتقى بى يسقط فاقد الوعى !..

أطلّ (آرتى) من نافذة حجرة مكتب (ميديتشى) فى هذه اللحظة ، وهو يصرخ :

ـ اتبعوه .. لقد خرج من الباب الرئيسى .

وضاع نصف هتافه مع دوى رصاصات مدفع (أدهم) ، الذى أسقط ثلاثة من الكلاب الشرسة ، وهو



وضاع نصف هتافه مع دوى رصاصات مدفع (أدهم) ، الذى أسقط ثلاثة من الكلاب الشرسة ..

يعدو عبر الحديقة ، متجهًا نحو المولّد الكهربى الإضافى ..

وفهم (آرتى) ما يسعى إليه (أدهم) على الفور ، فصرخ :

ـ امنعوه .. امنعوه بأى ثمن .

ولكن (أدهم) واصل انطلاقه نحو المولّد الكهربى ، والرصاصات تتناثر من حوله كالمطر ، وراح يطلق النار على التوصيلات الرئيسية للمولّد ، وهو يهتف ساخرًا :

ـ لا داعى للأضواء والهتاف يا رجال .. إننى أميل للعمل فى صمت .. وظلام .

نسفت رصاصاته كابلات التوصيل الرئيسية للمولّد الاحتياطى ، فساد الظلام بغتة ، وتوقّف الرجال فى حيرة ، جعلت (آرتى) يشدّ شعر رأسه فى ثورة ، صارخًا :

ـ لا تسمحوا لهذا بإيقافكم .. واصلوا البحث عنه .. سأكافئ من يظفر به .

ولكن دون (ميديتشى) أشعل سيجارته فى عصبية ، ونفث دخانها وسط الظلام الدامس ، الذى غمر المكان ، وهو يقول فى حدة :

ـ إننا نتعامل مع خبير يا (آرتى) .. إنه يعرف هدفه جيدًا .. لقد اتجه نحو المولّد الاحتياطى مباشرة ، ليقطع التيار عن المكان كله ، ويلغى عمل أجهزة الإنذار ، والأسوار المكهربة ، وأجهزة المراقبة .. إنه خطأ أمنى آخر أن نترك المولّد مكشوفًا هكذا .

أجابه (آرتى) فى حنق :

ـ فليكن يا دون .. يمكنك اعتباره الخطأ الأخير .. سنشغل المولّد اليدوى خلال دقائق خمس ، وستعود الأضواء لتغمر القصر والحديقة ، وعندئذ أعدك أن نوقع به يا دون .. لن نسمح له بالإفلات منا أبدًا ، ولن ...

قبل أن يتمّ عبارته ، دوى انفجار مكتوم ، فى نهاية الحديقة ، فصرخت (ليديا) :

ـ ما هذا ؟

أجابها المحامى متوترًا :

ـ لقد نسف السور الشرقى .

هتف (آرتى) :

ـ مستحيل !.. أسوار القصر كلها مزدوجة ، والفراغ بينها مزروع بالألغام ، ولا أحد يمكنه عبورها ، حتى عندما ينقطع التيار الكهربى .

أمسكه (ميديتشى) من عنقه فى عصبية ، وهو يقول :

ـ هل ستقضى وقتك كله فى التحدّث إلينا ، وشرح قوة الأمن هنا ؟!.. هيا اذهب وابحث عن ذلك الشيطان .. لا تسمح له بخداعنا للمرة الثالثة .

عضّ (آرتى) شفتيه فى غيظ ، وهو يقول :

ـ لن يفعل يا دون .. لن يفعل .

قالها ، وجذب مشط مسدسه ، واندفع خارج الحجرة ، فقال (ميديتشى) فى غضب :

ـ كيف أمكنه خداعى ؟

أجابه المحامى فى حدة :

ـ لقد حذّرتك يا دون ، ولكن من الواضح أن أسلوب ذلك الرجل أبهرك للغاية ، حتى أنك تجاهلت كل ما تتميّز به من الحيطة والحذر ، وأسندت إليه مهمة حراستك الشخصية .

قلب (ميديتشى) كفيه فى حيرة غاضبة ، وهو يقول :

ـ لقد نجح فى كسب ثقتى بالفعل ، حتى أننى لا أفهم ما الذى يسعى إليه بخداعى على هذا النحو .. لقد كانت أمامه الفرصة لقتلى مرتين ، فلماذا لم يفعل ؟.. وما الذى يريده أكثر من هذا ؟

أجابته (ليديا) بتساؤل شارد :

ـ نعم .. ما الذى يريده أكثر من هذا ؟

قال المحامى فى توتر :

ـ إنه صديق لدونا (كارولينا) ، وهذا يكفى لمعرفة ما يسعى إليه .

التفت (ميديتشى) إلى مصدر الصوت ، قائلاً :

ـ إذن فلديك جواب لتساؤلاتنا .

انقشعت الغيوم عن القمر ، فى هذه اللحظة ، فغمر المكان بضوئه الفضى ، وكشف ملامح المحامى ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ نعم يا دون .. لدى جواب لتساؤلاتكم .. لقد كان هذا الرجل جاسوسًا من قبل دونا (كارولينا) ، لتحديد خطواتك التالية ضدها .

هتف (ميديتشى) :

ـ فقط ؟!.. لا يمكننى أن أقتنع بهذا يا (برنارد) .. لقد سعى هذا الرجل لدس أنفه فى شئونى لغرض أكثر أهمية .

اندفعت (ليديا) تقول :

ـ أنا واثقة من هذا .

التفت إليها (ميديتشى) بحركة حادة ، ونفث آخر دخان سيجارته ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. إنك تبدين اهتمامًا غير عادى بهذا الأمر يا (ليديا) !

رسمت (ليديا) على شفتيها ابتسامة جذَّابة ، وهى تقول :

ـ كل ما يهمك يهمنى يا دون .

ومع آخر حروف كلماتها ، سطعت الأضواء فى المكان ، مع هدير المولِّد اليدوى ، فهتفت :

ـ مرحى .. عادت الأضواء .

أسرع دون (ميديتشى) إلى النافذة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ هذا يجعل فرصتهم بذلك الرجل أكبر .

كان واثقًا تمام الثقة من أن رجاله سيظفرون حتمًا بـ (أدهم) ، ولكن ثقته هذه راحت تهتزّ رويدًا رويدًا ، كلما مرَّت الدقائق ، دون أن يعلن الرجال نجاحهم فى هذا ، وعندما وصلت هذه الدقائق إلى نصف الساعة ، كانت ثقته قد تلاشت تمامًا ، وحلَّ محلَّها غضب هادر ، جعله يصرخ فيهم :

ـ إذن فقد هرب .. للمرة الثالثة ينجح فى تجاوز

ذلك النطاق الأمنى ، الذى أكّدت لى أنه ما من سبيل لاختراقه .. لقد حطّمت سمعتنا الأمنية تمامًا يا (آرتى) .

عقد (آرتى) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف هرب يا دون .. لقد فتشنا القصر والحديقة شبرًا شبرًا ، والقنبلة التى أصابت السور لم تحطّم منه سوى جزءًا صغيرًا فى أعلاه .. لا يصلح لعبور رجل مثله .. إنه أمر غير مفهوم أبدًا .

لكمه (ميديتشى) فى جبهته ، وهو يصيح :

ـ الأمر الوحيد غير المفهوم هو مدى غباء رجالك يا (آرتى) ، الذين عجزوا بأسلحتهم ، وكلابهم المدرّبة ، عن منع رجل واحد من الفرار من هنا .. إنهم حتى لم يصيبوه سوى برصاصة واحدة ، لم تكف لكسر نشاطه الجم .

قال (آرتى) فى حنق :

ـ هناك سر يكمن وراء فراره يا دون ، وسأبذل قصارى جهدى لكشف هذا السر الغامض ، و ...

قاطعه (ميديتشى) فى غضب :

ـ كلاّ .. إنك لن تبذل قصارى جهدك إلا فيما أسنده إليك .. لا تحاول التفكير مرة أخرى .. فقط نفذ الأوامر .. هل تفهم ؟.. نفذ الأوامر فحسب .

كاد (آرتى) يلتهم شفتيه غيظًا وقهرًا ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا دون .. كما تأمر .

أشار إليه (ميديتشى) بذراعه ، قائلاً :

ـ هيا .. انصرفوا .. لم أعد أطيق رؤية أحدكم .

غادروا الحجرة يجرون أذيال الخيبة ، فى حين قال المحامى :

ـ لا تجعل الأمر يغضبك إلى هذا الحد يا دون ، فحتى لو كان هذا الرجل قد نجح فى الفرار ، فإننا منعناه من تحقيق هدفه الرئيسى على الأقل .

قال (ميديتشى) فى حنق :

ـ آه .. هذا لو أننا نعرف هدفه الرئيسى .

قال (برنارد) فى حزم :

ـ سأبذل قصارى جهدى لمعرفته يا دون .

لوّح (ميديتشى) بسبّابته نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلاّ يا (برنارد) .. لا أريدك أن تبذل قصارى طاقتك فى هذا الأمر ، فسأسند إليك مهمة أكثر خطورة ، تحتاج إلى كل قطرة جهد فى جسدك .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد ، ملوّحًا بقبضته :

ـ أريد أن أعرف من هؤلاء الذين أقدموا بكل الجرأة على اختطاف دونا (كارولينا) ، على هذا النحو المستفز .. من يا (برنارد) ؟.. من ؟!

نعم .. من ؟

* * *

« المخابرات المصرية ؟!!... »

لو أننا منصفون حقًا ، لوضعنا ألف علامة تعجب ، بعد هذه الكلمة ، التى شهقت بها دونا (كارولينا) ، وهى تحدق فى البطاقة ، التى قدمها لها ذلك الرجل الوسيم ، قبل أن ترفع عينيها إليه ، هاتفة :

ـ أنتم اختطفتمونى ؟!.. ولكن لماذا ؟.. لماذا تسعى المخابرات المصرية لاختطافى ؟!.. المفروض أن بيننا اتفاق .

أجابها الرجل فى صرامة ، لا تخلو من التهذيب :

ـ نحن لا نعقد أية اتفاقات مع منظمات غير رسمية يا سيدتى ، ولكننا نحترم تعاقدات بعضنا البعض ، وكل ما فعلناه كان من أجل سيادة العميد (أدهم صبرى) .

تضاعفت دهشتها ، وهى تهتف :

ـ (أدهم) طلب منكم اختطافى ؟!

جلس الرجل على المقعد المقابل لها ، وهو يجيب :

ـ ليس بالضبط ، ولكن سيادة العميد أرسل برقية إلى مكتبنا هنا ، يطلب منا فيها العمل على تحذيرك ، أو إنقاذك من مؤامرة دنيئة ، تستهدف القضاء عليك ، بوساطة رجال الشرطة الرسمية ، لحساب دون (ألبرتو ميديتشى) ، بحيث يبدو الأمر أشبه بحادث عارض ، ولقد حاولنا تحذيرك بالفعل ، ولكنك كنت تتجاهلين رنين الهاتف طوال الوقت ، وتحيطين نفسك بطاقم حراسة متشكك ، يصعب التفاهم معه ، لذا فلم يكن أمامنا سوى أن نتحرك بسرعة ، ونفعل ما فعلناه .

فغرت فاها مبهورة ، وهى تقول :

ـ هكذا ، بكل بساطة ؟!

ثم اعتدلت ، تسأله فى لهفة :

ـ قل لى يا رجل .. هل يقبل هؤلاء الذين نفذوا عملية اختطافى الرائعة هذه ، العمل لحسابى ؟

ابتسم وهو يهز رأسه نفيًا ، قائلاً :

ـ ولا بأموال الدنيا كلها يا دونا .

قالت فى إصرار :

ـ هل لك أن تسألهم أولاً ؟

أجابها فى هدوء :

ـ إننى أعرف الجواب مسبقًا .

بدت عليها خيبة الأمل ، وهى تتراجع فى مقعدها ، مغمغمة :

ـ يا للخسارة !

ثم اعتدلت مرة أخرى فى حدة ، مستطردة :

ـ إذن فدون (ميديتشى) اللعين يخطّط لقتلى !!.. لقد تصوّرت أن وجودى فى (نيويورك) سيمنعه من هذا ، فهو يسعى للزعامة ، ويعلم جيدًا أن القانون سيحرمه هذا الشرف ، لو أنه تسبّب فى مقتل الزعيمة الحالية .

أجابها ببساطة :

ـ من العسير على بعض الناس أن يتنازلوا عن طموحاتهم وأحلامهم ، مهما كانت الصعوبات .

ضربت مسند المقعد بقبضتها ، هاتفة :

ـ سأحطّم هذه الطموحات والأحلام إذن .

ونهضت تلتقط سيجارة ، من صندوق السجائر على المنضدة ، وأشعلتها مستطردة :

ـ أين تتوقّع وجود (أدهم) الآن ؟

صمت الرجل لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ خبرتى السابقة فى التعامل مع سيادة العميد (أدهم) ، تؤكد أنه من العسير الجزم بمكان تواجده ، فى أية لحظة ، مهما بدا العكس صحيحًا .

كان جوابه عائمًا ، لا يحسم السؤال الرئيسى ..

أين (أدهم) الآن ؟..

أين ؟..

* * *

انطلق المحامى (برنارد) بسيّارته ، عائدًا إلى منزله ، وهو يقول لسكرتيرته فى حنق واضح :

ـ لست أدرى كيف فعلها رجل المخابرات المصرى هذه المرة !.. لقد راجعت كل إجراءات الأمن بنفسى مع (آرتى) ، الذى دفعه الغضب إلى تفتيش القصر والحديقة مرتين ، ولكننا لم نعثر على أدنى أثر له .

أجابته (ليديا) ، وهى تسترخى فى مقعدها ، وتنفّث دخان سيجارتها فى بطء :

ـ أعتقد أنه كان على حق ، فالجميع يجهلون قواعد الأمن تمامًا .

قال فى غضب :

ـ تتحدثين كما لو كنت خبيرة فى هذا .

ابتسمت محاولة إخفاء سخريتها ، وهى تقول :

ـ أنا ؟!.. وما صلتى بالأمن ؟

انعقد حاجباه ، وهو ينطلق لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلمين .. إننى أتفق مع (آرتى) فى أنه يوجد سر غامض ، خلف هذا الأمر .

أسبلت جفنيها ، قائلة :

ـ هل يقنعك (آرتى) هذا ؟

أجابها فى توتر :

ـ إنه خبير فى مجاله على الأقل .

أشاحت بوجهها ، لتخفى ابتسامتها الساخرة ، وهى تقول :

ـ أى مجال هذا ؟.. القتل ؟!.. ما الخبرة التى يمكن أن تكتسبها ، من إراقة أنهار الدم بلا توقُّف ؟!

مطَّ شفتيه فى ضيق ، دون أن يجيب ، ثم قال :

ـ لست مستعدًا لمحاورتك هذه الليلة يا (ليديا) .. لقد اقترب الفجر ، ولم أذق طعم النوم بعد ، وكان يومى متوترًا بشدة ، سأوصلك إلى منزلك ، ثم أعود إلى منزلى ، لأحظى بقدر من النوم ، و ...

قاطعته ، وهى تربِّت على كفه فى رقة :

ـ كلاَّ اذهب أنت إلى منزلك ، وسأعود بالسيارة وحدى إلى المنزل ، وأرسلها إليك فى الصباح مع حارس البناية .

تنهَّد قائلاً :

ـ نعم .. هذا أفضل .

وواصل طريقه حتى بلغ منزله بالفعل ، ثم تركها تبتعد وحدها بالسيارة ، ولم تكد تقطع عدة أمتار ، بعيدًا عن المنزل ، حتى ابتسمت قائلة :

ـ حسن .. يمكنك أن تنهض الآن .

ومع قولها ، نهض شخص ما من قاع السيارة ، خلفها تمامًا ، وجلس على الأريكة الخلفية ، وهو يبتسم فى هدوء ..

وكان هذا الشخص هو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

* * *

١١ـ كشف الأوراق ..

استقرّت إشارات المخ على نحو مثير للارتياح ، جعل الأطباء المحيطون بفراش (منى) يتنفسون الصعداء ، ويجففون عرقهم ، وأحدهم يقول :

ـ أخيرًا .. تصوّرت أن هذا لن يحدث أبدًا .

غمغم (قدرى) ، الذى بدا مجهدًا ، وكأنه خاض معركة عنيفة :

ـ لا ريب أن (أدهم) قد تجاوز مرحلة الخطر .

رمقه الأطباء بنظرة حائرة ؛ لأنه نطق العبارة بالعربية ، فرفع عينيه إليهم ، وكرّرها بالانجليزية ، فمطّ معظمهم شفتيه ، وتبادلوا نظرة مشفقة ، قبل أن يربّت أحدهم على كتفه ، قائلاً :

ـ مستر (قدرى) .. يؤسفنى أن أحطّم معتقداتك على هذا النحو ، ولكننى لا أومن بحرف واحد مما نطقت به .. التفسير الذى تقوله غير علمى على الإطلاق ، ولا يستند حتى إلى نظريات قديمة أو حديثة .. لا يوجد مركز واحد فى المخ ، يمكنه استقبال مشاعر الخطر عن بعد .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ إلا فى سينما الخيال العلمى بالطبع .

سرت موجة من الضحك بين الأطباء ، وانتظر (قدرى) حتى تلاشت ، ثم سأل ذلك الطبيب فى حدة :

ـ قل لى أيها العبقرى : أين يقع ذلك المركز فى المخ ، الذى يجعل الأم تنتفض فجأة من نومها ، وتسرع إلى حجرة ابنها ، لتجده على وشك السقوط من فراشه ؟!.. أين المركز المسئول عن الآمال والطموحات البشرية ؟!.. أين البقعة التى تحرّك المشاعر والانفعالات ؟.. أى جزء من المخ مسئول عن أحلامنا وكوابيسنا ؟.. أية خلايا تلك ، التى تجعلنى أميل إلى شخص فور رؤيته ، وأبغض آخر ، قبل أن ينبس ببنت شفة ؟!

ارتبك الطبيب ، وهو يغمغم :

ـ أبحاث ودراسات المخ لم تتوقّف قط ، ويومًا مّا ، سيكشفون الخلايا والأجزاء المسئولة عن كل هذا .

نهض (قدرى) ، قائلاً :

ـ حقا ؟!.. لا تنس إذن ، عندما يبلغونك بكشفها ، أن تسألهم عن تفسير ما يحدث لصديقتنا (منى) .

ثم غادر المكان فى هدوء ، تاركًا الطبيب خلفه يتصبّب عرقًا ..

وحرجًا ..

* * *

تسلّلت (ليديا) على أطراف أصابعها إلى حجرة النوم الإضافية فى شقتها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة حانية ، وهى تتطلّع إلى (أدهم) ، الذى استغرق فى نوم عميق ، وتمتمت فى انبهار حالم :

ـ يا لك من رجل !

واقتربت من فراشه فى خفة ، ووقفت تتطلّع إلى ملامحه لحظة ، ثم انحنت لتطبع قبلة على شفتيه ، ولكنها قبل أن تلمسه ، فوجئت به يتراجع فى حركة حادة ، ويختطف مسدسه من أسفل الوسادة ، ويصوّبه إليها فى صرامة ، فشهقت متراجعة بدورها ، وهتفت :

ـ رويدك يا رجل .. إنه أنا .

عقد (أدهم) حاجبيه فى ضيق ، عندما رأى ذلك القميص القصير الذى ترتديه ، وقال :

ـ كم الساعة الآن يا (ليديا) ؟

أجابته مقتربة منه فى حذر :

ـ الثامنة .. ولقد أعددت القهوة والإفطار .

ثم ألقت ذراعيها حول عنقه ، هامسة :

ـ هل نمت جيدًا ؟

أبعد ذراعيها عن عنقه فى رفق حاسم ، ونهض من فراشه ، قائلاً :

ـ أعتقد أننى أدين لك بالشكر يا (ليديا) .

استلقت على الفراش فى دلال ، قائلة :

ـ لم أفعل سوى ما يمليه علىّ واجبى .

التقط معطفًا منزليًّا ، وألقاه إليها ، قائلاً فى لهجة آمرة حازمة :

ـ ارتد هذا ، ما دمنا نتحدّث عن العمل .

صدمها موقفه ، ولكنها أطاعته دون مناقشة ، وارتدت المعطف المنزلى ، وهى تقول فى ضيق :

ـ هل ستتناول إفطارك الآن ، أم تغتسل أوّلاً ؟

أجابها فى هدوء :

ـ بل سأغتسل أوّلاً ، وأؤدى الصلاة ، ثم ألحق بك لنتناول الطعام معًا .

قالت فى دهشة :

ـ تؤدّى ماذا ؟

أجابها فى حزم صارم :

ـ الصلاة .. لا أبدأ يومى بدونها أبدًا .

فغرت فاها مشدوهة لحظة ، قبل أن تمطّ شفتيها ، وتهزّ كتفيها ، قائلة :

- يبدو أن كل رجال المخابرات لا يشبهون (جيمس بوند)(*) .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- ربما كان هذا هو سر نجاحهم فى عالم الواقع .

لم يكن بإمكانها استيعاب منطقه بتاتًا ، ولكنها تركته يغتسل ، ويؤدى صلاته فى خشوع ، قبل أن يلحق بها لتناول الإفطار ، وعندما بدأت فى ارتشاف قهوتها ، قال :

- دعينى أهنئك على أسلوبك البارع ، ففى الوقت الذى تصوّر فيه الجميع أن العصبية هى سبب نقرك بأظافرك على سطح مكتب (ميديتشى) ، أدركت أنا على الفور أنك ترسلين لى رسالة خاصة ، باستخدام إشارات (موريس) التلغرافية(**) .

(*) جيمس بوند : شخصية خيالية ، من ابتكار البريطانى (آيان فليمنج) ، لرجل مخابرات بريطانى ، يخوض مغامرات مثيرة ، وسط أجواء خلابة ، وبمؤثرات مدهشة ، ولقد تم تحويل معظم رواياته إلى أفلام سينمائية ناجحة .

(**) إشارات موريس : إشارات خاصة ، تستخدم لإرسال البرقيات ، عبر المسافات الطويلة ، وتعتمد على لغة من حرفين ، النقطة والشرطة ، وبترتيب النقاط والشرط ، تتكوّن الحروف والكلمات ، وفى عالم التلغراف يتم التعبير عن النقطة بنبضة سريعة ، وعن الشرطة بنبضة متصلة .

هزّت كتفيها ، وهى تبتسم قائلة :

- لم أكن لأفعلها ، لولا ثقتى فى أنك ستفهمها على الفور .

ابتسم قائلاً :

- لقد حفظتها عن ظهر قلب أيضًا .

ثم تراجع فى مقعده ، وراح يعيد رسالتها :

- انتبه .. أنا عميلة فيدرالية أمريكية(*) .. لقد كشف (برنارد) أمرك ، ويعلم أنك رجل مخابرات مصرى ، تحمل اسم (أدهم صبرى) .. إذا ما نجحت فى الفرار من هنا ، ستجد نسخة من مفاتيح سيارة (برنارد) إلى جوار إطارها الأيسر الخلفى .. اختف داخل السيارة ، بعد أن توهمهم بفرارك .

وعاد يبتسم ، مستطردًا :

- ولم أشك لحظة واحدة فى أمرك ، فالمنطق الوحيد لتحذيرى ، فى مثل هذه الظروف ، هو أنك تبغين إنقاذى ، وهذا ما دفعنى لقلب الأمور رأسًا على عقب ، ومفاجأتهم قبل أن يفعلوا .

هزّت كتفيها مرة أخرى ، قائلة :

(*) العميل الفيدرالى : هو العميل الذى يعمل لحساب الحكومة ، وله صلاحية الضبط القضائى .

ـ المفروض أننا نعمل فى الجانب نفسه .

لوَّح بسبَّابته ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن من زاويتين مختلفتين .

ارتشفت رشفة أخرى من القهوة ، وهى تتطلَّع إليه فى صمت ، ثم سألته :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

ـ إلى نفس ما تسعين إليه يا (ليديا) .. تحطيم دون (ميديتشى) .

سألته فى اهتمام :

ـ لحساب دونا (كارولينا) .

مطَّ شفتيه دون أن يجيب ، فتراجعت فى مقعدها ، قائلة :

ـ ولماذا تتدخَّل المخابرات المصرية ، لحماية دونا (كارولينا) من أعدائها ؟

صمت لحظة ، ثم ارتشف رشفة من قهوته ، قبل أن يجيب :

ـ إننى أقوم بالمهمة على مسئوليتى الخاصة ، فهناك دين قديم ، بينى وبين دونا ، ووجدت أنها وسيلة مناسبة لتسديده .

تطلَّعت إليه لحظة أخرى فى صمت ، ثم ابتسمت قائلة :

ـ هل اعتدت تسديد ديونك بهذا الأسلوب ؟

أجابها فى حزم :

ـ من النادر أن أصبح مديناً لأحد .

مالت نحوه ، قائلة :

ـ ولكنك مدين لى بالفعل .. لقد أنقذت حياتك .

أجاب فى هدوء :

ـ أعترف بهذا .

مالت نحوه أكثر ، حتى ارتطمت أنفاسها بوجهه ، هامسة :

ـ لا تقلق نفسك بهذا .. لدى وسيلة رائعة لسداد الدين .

نهض من مقعده فى هدوء ، وسألها :

ـ أخبرينى يا (ليديا) .. ألديك أية معلومات ، بخصوص (ميديتشى) ، بعد عملك الطويل مع (برنارد) ؟

مطَّت شفتيها فى ضيق ، وهى تعود إلى مقعدها ، قائلة :

ـ لا يمكننى أن أكشف لك ما لدى من معلومات .

قال فى صراحة :

ـ قلت إننا نعمل فى جانب واحد .

أجابته فى حدة ، وهى تلتقط سيجارة من علبتها :

ـ ولكن هذه القضية هى فرصة عمرى ، فى الترقى والنجاح .

أطلق ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ أهذا كل ما يقلقك ؟

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ـ اسمعى يا (ليديا) .. يمكننا أن نعقد اتفاقًا مناسبًا فى هذه الحالة ، فأنت تسعين للنجاح فى قضيتك ، وأنا أسعى فقط لتدمير (ميديتشى) .. ما رأيك لو تعاوننا على تحطيمه ، ثم أنسب الفضل كله لك رسميًا .

هتفت فى دهشة :

ـ وهل يمكنك أن تفعل هذا حقًا ؟

اعتدل يجيبها فى حسم :

ـ هل رأيت من قبل رجل مخابرات ، يميل إلى إعلان عمله ؟

عقدت حاجبيها ، وهى تفكر فى الأمر بعمق ، قبل أن تقول :

ـ اتفقنا .

وصافحته فى قوة ، ثم قالت فى اهتمام :

ـ أفضل ما لدى من معلومات هو أن (ميديتشى) متورط فى عدد من عمليات تهريب وتجارة المخدرات ، ويتعامل فى السوق السوداء للسلاح ، داخل الولايات المتحدة الأمريكية(*)، ولكننا عجزنا عن إثبات أية تهمة عليه ، على الرغم من أنه يحتفظ بوثائق ومستندات تدينه بشدة ، إلا أننا لم نستطع العثور عليها قط ، ولقد استدرجت (برنارد) ليبوح لى ببعض أسرار (ميديتشى) ، ولكن كل ما قاله أن هذا الأخير يحتفظ بهذه الوثائق والمستندات فى خزانة سرية خاصة ، فى حجرة مكتبه ، لا يعرف سرها سوى الدون نفسه ، ولا يبوح به لأحد قط ، حتى محاميه وحارسه الخاص .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يستعيد المشاهد الأخيرة ، داخل حجرة مكتب (ميديتشى) ، ثم قال :

ـ ربما نجحت محاولة جديدة فى كشف السر يا (ليديا) .

سألته متنهدة فى أسى :

(*) على الرغم من أن تجارة السلاح عمل رسمى فى (أمريكا) ، إلا أن العديدين يفضلون شراء أسلحتهم دون مستندات ملكية ، من السوق السوداء هناك .

ـ ومن يقوم بهذه المحاولة ؟
التفت إليها ، قائلاً فى حزم :
ـ أنـا . .
ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تهتف :
ـ أنت ؟!.. هل جننت ؟!.. لن يمكنك أبدًا دخول قصر دون (ميديتشى) ثانية .. إنهم سيضاعفون إجراءات الأمن حتمًا ، وسيصبحون أكثر توترًا وحساسية .
ابتسم وهو يقول :
ـ هذا بالنسبة للزائرين العاديين فحسب .
سألته فى حذر :
ـ وكيف يمكنك إقناعهم بأنك لست زائرًا عاديًا ؟
اتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :
ـ لدى وسائلى الخاصة .
وحملت ابتسامته طنًا من الثقة ..
ومن الغموض ..

* * *

فتح (برنارد) عينيه فى صعوبة ، مع رنين الهاتف المجاور لفراشه ، فمد يده يلتقط سمّاعته ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى صوت متهالك كسول ، لم يفارقه النوم بعد :

ـ من المتحدّث ؟
أتاه صوت دون (ميديتشى) ، وهو يقول فى حدة :
ـ أما زلت نائمًا حتى الآن يا (برنارد) ؟
هبَّ المحامى من فراشه ، وهو يقول فى ارتباك ، متطلعًا إلى ساعته :
ـ إنها التاسعة فحسب يا دون ، وأنت تعلم أننى غادرت قصرك متأخرًا ، و ...
قاطعه (ميديتشى) فى حدة :
ـ ولو .. الأمر لا يحتمل النوم يا (برنارد) .. أنت تعلم أن أمامنا حربًا طاحنة .. هيَّا .. استيقظ يا رجل .. أريدك أن تلتقى بى بعد نصف الساعة ، أمام المدخل الشمالى للحديقة العامة .. أسرع يا رجل .. الأمور لم تعد تحتمل هذا التهاون .
سأله (برنارد) فى دهشة :
ـ ولِمَ لا نلتقى فى قصرك .. أو فى مكتبى مثلاً ؟
صاح به (ميديتشى) غاضبًا :
ـ لا تناقش أوامرى يا رجل .. أنت تتقاضى منى أجرًا باهظًا ، مقابل أن تنفذ ما أريد .
وأنهى المحادثة فى عنف ، جعل (برنارد) يحدّق فى سمّاعة الهاتف بدهشة ، قبل أن يعيدها إلى موضعها ، مغمغمًا فى حنق :

- يا لسخافة العمل مع هذا الرجل !

ولكنه نهض يحلق ذقنه ، ويغتسل ، ويرتدى ثيابه ، ثم هبط إلى مرآب البناية ، حيث وجد سيارته فى موضعها ، فابتسم قائلاً :

- دقيقة هى (ليديا) دائمًا .

واستقلَّ السيارة ، وانطلق بها إلى المكان الذى حدَّده (ميديتشى) بالضبط ، وأوقف سيارته عند المدخل الشمالى للحديقة العامة ، وجلس داخلها يراقب المكان ، بحثًا عن سيارة (ميديتشى) ، ولكنه فوجئ بشخص يفتح باب السيارة ، ويجلس إلى جواره ، فقال فى حدة :

- ماذا تفعل يا هذا ؟

التفت إليه ذلك الشخص بحركة سريعة ، وألصق فوهة مسدسه بجانبه ، وهو يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

- يسعدنى أنك وصلت فى موعدك بالضبط يا عزيزى (برنارد) .. أنا أثق دائمًا فيمن يحترم مواعيده .

واتسعت عينا (برنارد) فى ذهول :

فعلى الرغم من أن ما سمعه كان صوت دون (ميديتشى) ، بلا أدنى تغيير ، إلا أن الرجل الذى نطق

العبارة ، لم يكن يشبه الدون ، من قريب أو بعيد ..

لقد كان (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

* * *

نفث دون (ميديتشى) دخان سيجارته كبركان ثائر ، وهو يتطلَّع إلى عقارب ساعته ، التى أشارت إلى العاشرة والنصف صباحًا ، ثم دق بيده على سطح مكتبه ، صائحًا فى غضب :

- أين ذهب هذا المحامى اللعين ؟!.. هل زال من الوجود تمامًا ؟!.. كيف لم تعثروا عليه حتى الآن ؟

أجابه (آرتى) فى توتر :

- لقد بحثنا عنه فى كل مكان يا دون .. فى مكتبه ، ومنزله ، وحتى فى قاعة المحاكمات ، ولكنه اختفى تمامًا .. لم يعد له أدنى أثر .

نفث دون (ميديتشى) دخانه مرة أخرى فى عصبية ، وهو يقول :

- اللعنة !.. ألا يعلم أن الأمر معقَّد للغاية ، وأننى أحتاج إليه بشدة .. إن هاتفى لم يتوقَّف عن الرنين ، منذ السابعة صباحًا ، وكل الزعماء يتهموننى بأننى المسئول عن اختطاف دونا (كارولينا) ، ويحذروننى من عواقب هذا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين الهاتف ، فاحتقن وجهه ، وهو يتمتم :

ـ لا .. ليس ثانية .

والتقط سمّاعة الهاتف ، قائلاً :

ـ دون (ميديتشى) .. من المتحدّث ؟

إزداد احتقان وجهه ، وهو يلوّح بيده ، ويقول فى عصبية :

ـ صباح الخير يا دون (فرانشسكو) .. نعم .. نعم .. لقد بلغنى أمر اختطاف دونا .. لا .. أقسم لك أنه لا يد لى فى هذا الأمر .. كلاً يا دون (فرانشسكو) .. صحيح أنها مدينتى ، ولكنك تعرف (نيويورك) وعصابات (نيويورك) .. لست أعنى أننى عاجز عن السيطرة عليها ، ولكن .. آه .. نعم .. نعم .. بالتأكيد يا دون (فرانشسكو) .. بالتأكيد .. سأبذل قصارى جهدى .

وأنهى المحادثة فى عنف ، صائحًا :

ـ لابد وأن نجد (كارولينا) اللعينة هذه .. أكاد أشكّ فى أنها التى دبّرت أمر اختطافها المزعوم هذا ؛ لتضعنى فى هذا الموقف الحرج .. إن زعامتى للمنظمة مهدّدة بالفشل ، مالم نعثر عليها ، أو نكشف سر اختطافها .

غمغم (آرتى) :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل يا دون .

صاح (ميديتشى) فى وجهه :

ـ ابذل المزيد يا (آرتى) .. ابذل روحك نفسها لو اقتضى الأمر ، ولكن لا تضعنى فى هذا الموقف .

ارتفع فى هذه اللحظة أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، مع صوت حارس البوّابة ، يقول فى اهتمام :

ـ مستر (برنارد) وصل يا دون .

قفز (ميديتشى) يضغط زر الاتصال ، هاتفًا :

ـ أخيرًا .. دعه يأتى على الفور يا رجل ، وقل له : ألا يتوقّف لحظة واحدة ، قبل أن يدخل مكتبى .

استمع حارس البوّابة إلى الأمر ، وأنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى (أدهم) ، الذى تحوّل إلى صورة طبق الأصل من المحامى ، ويقول :

ـ دون ينتظرك على أحرّ من الجمر يا مستر (برنارد) .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

ـ أتعشّم ألاّ يتغيّر رأيه هذا عندما نلتقى .

وانطلق بالسيارة عبر الحديقة الواسعة ، فهتفت (ليديا) ، وهى تلتقط أنفاسها :

- يا للجرأة !.. إنك تتصرّف بمنتهى الثقة ، كما لو كنت (برنارد) الحقيقى.!

ابتسم وهو يجيب :

- الثقة نصف النجاح يا عزيزتى .

تطلّعت لحظة إلى تنكره المتقن للغاية ، قبل أن تهزّ رأسها ، قائلة :

- الواقع اننى فى ذهول من براعتك هذه .. حتى أنا لم يكن بإمكانى تمييزك عن (برنارد) الحقيقى .. إنك تتفوّق على الكمبيوتر فى صنعك لتلك الأقنعة الرقيقة ، ولكن ما يبهرنى حقًا ، هو حنجرتك المرنة ، التى تجعلك تتحدّث بصوت (برنارد) .. كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟

أجابها فى بساطة :

- كل شىء يتطوّر بالتدريب .

هتفت فى دهشة :

- بالتدريب ؟!.. وكم من الوقت استغرقت تدريباتك ، حتى بلغت هذه المهارة المذهلة .

أطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يجيب :

- أخشى ألا تصدقينى لو أجبتك يا (ليديا) .

تطلّعت إليه لحظات فى انبهار ، وهو يتجه بسيارته نحو مكان انتظار السيارات ، ثم همست :

- قل لى : هل يعلم رجال الـ (سى . آى . إيه)(*) بوجودك ؟

ابتسم قائلاً :

- نعم .. ولديهم ملف كامل عنى .

مالت نحوه ، وهى تهمس بأنفاس مبهورة :

- ألم يصبهم هذا بالإحباط ؟

ضحك ، دون أن يجيب ، وأوقف السيارة ، وغادرها فى هدوء ، فتبعته هى ، واستقبلهما (آرتى) ، وهو يقول فى توتر :

- أين كنت يا مستر (برنارد) ؟.. إننا نبحث عنك منذ أكثر من ساعة كاملة .

خفق قلب (ليديا) فى عنف ، عندما رأت (آرتى) يتطلّع إلى وجه (أدهم) مباشرة ، ولكن هذا الأخير ظلّ هادئًا باسمًا ، وهو يجيب بصوت (برنارد) :

- هأنذا يا (آرتى) ، وهذا هو المهم .

ثم تحرّك فى هدوء نحو المصعد الصغير ، الذى يقود إلى الطابق الثانى من القصر ، حيث مكتب (ميديتشى) ، فى حين بقيت (ليديا) فى مكانها ، تتطلّع

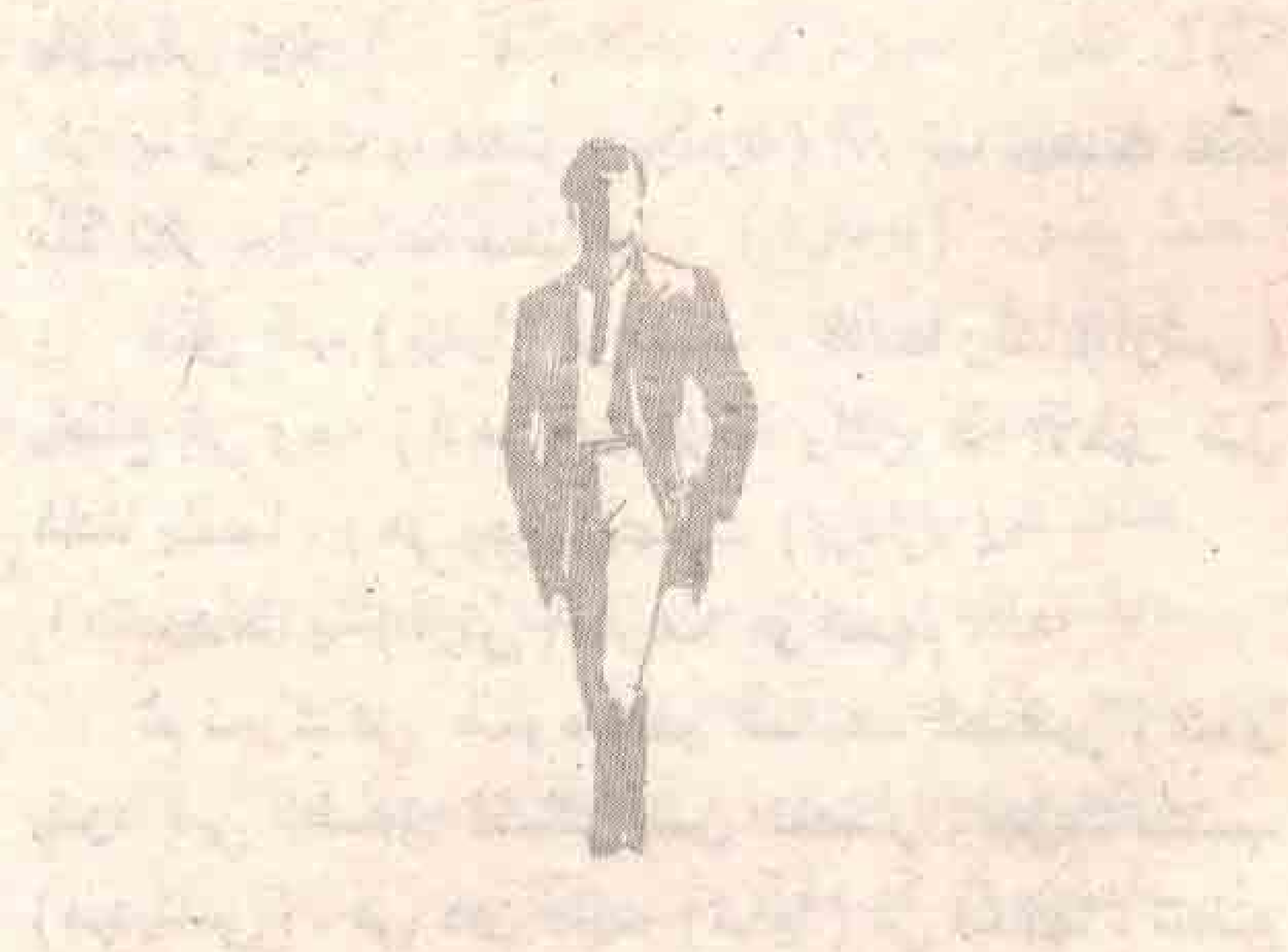
(*) سى . آى . إيه : C. I. A : المخابرات المركزية الأمركية .

إلى (آرتى) ، الذى تابع (أدهم) ببصره لحظات ، قبل أن يغمغم فى عصبية ، وهو يحرّك مدفعه الآلى :

ـ يا للوقاحة !

وهوى قلب (ليديا) بين قدميها ثانية .

* * *



١٣ ـ المواجهة ..

التقطت أذنا (أدهم) تلك الكلمة ، التى نطقها (آرتى) ، فاستدار إليه فى حزم ، قائلاً :

ـ ماذا تقول يا (آرتى) ؟

شعرت (ليديا) أن تلك النظرة ، المطلّة من عينى (أدهم) ، قد اخترقت كيانها ، وصعقت قلبها بتيار كهربى ، جعله يرتجف مرتاعًا ، وأيقنت على الفور من أن (آرتى) قد استقبل التأثير نفسه ، وهو يخفض مدفعه فى سرعة ، ويقول مضطربًا :

ـ لا شىء يا مستر (برنارد) .. لا شىء .

رمقه (أدهم) بنظرة صارمة أخرى ، ثم استدار إلى (ليديا) ، قائلاً :

ـ هيا يا (ليديا) .. سنتأخّر أكثر على دون ، وهو يكره هذا ، ويكره من يتسبّبون فيه .

قال الجملة الأخيرة ، وهو يرمى (آرتى) بنظرة ذات مغزى خاص ، ثم يلتقط يد (ليديا) ، ويواصل طريقه إلى المصعد ، وهى تهمس مبهورة :

ـ يا لك من رجل !.. يا لك من رجل !

أما (آرتى) ، فقد وقف فى مكانه جامدًا لحظات ، حتى سأله أحد رجاله :

ـ ماذا هناك يا (آرتى) ؟

انتفض كمن يستيقظ من كابوس سخيف ، والتفت إلى الرجل لحظة فى شرود ، قبل أن يقول متوترًا :

ـ مستر (برنارد) يبدو لى مختلفًا .

قال الرجل فى دهشة :

ـ مختلفًا ؟!.. كيف ؟.. إنه يبدو طبيعيًا للغاية .. ما المختلف فيه ؟

تنهَّد (آرتى) ، قائلاً :

ـ قامته تبدو أكثر طولاً ، ومنكبيه أكثر عرضًا ، وشخصيته أكثر قوة ، و ...

قاطعه الرجل :

ـ شخصية ماذا ؟

ثم انفجر ضاحكًا ، فصاح به (آرتى) :

ـ الأمر لا يستحق السخرية .

وعقد حاجبيه ، وهو يبتعد مستطردًا :

ـ هذا ما أشعر به ، وأنا حرّ فى مشاعرى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها هذه العبارة ، كان دون (ميديتشى) يستقبل (أدهم) و (ليديا) فى عصبية ، قائلاً :

ـ أين كنت يا (برنارد) ؟.. العالم كله مقلوب على رأسى ، وأنت تختفى هكذا .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ كانت لدى بعض الأعمال يا دون .

صاح فيه (ميديتشى) فى حدة :

ـ أية أعمال ؟!.. أية أعمال يا (برنارد) ؟!.. إنك محامىّ الخاص ، وتتقاضى منى مبلغًا باهظًا ، والمفروض أن تتفرغ لأعمالى وحدها .

أجابه (أدهم) :

ـ إنها أعمالك أيضًا يا دون ، تلك التى شغلتنى عنك ، فقد كنت أتتبَّع عملية اختطاف دونا .

هتف (ميديتشى) :

ـ حقًّا ؟!.. وماذا وجدت يا (برنارد) ؟.. هه .. ماذا وجدت ؟!

استرخى (أدهم) على مقعد وثير ، وهو يجيب :

ـ إنه ذلك التاجر من (كولومبيا)(*) .. تاجر السلاح الكولومبى .. يبدو أن بينكما بعض المشكلات .

(*) كولومبيا : جمهورية فى شمال غرب (أمريكا الجنوبية) ، عاصمتها (بوجوتا) ، ولها سواحل على المحيطين ، الأطلنطى والهادى ، ومن أهم منتجاتها البن والبترول ، ويعتبرها البعض أكبر مصدر للمخدرات والأسلحة المهربة إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

هتف (ميديتشى) فى حدة :

ـ أتقصد (مانو) ؟!.. ذلك الحقير (مانو) ؟!.. كيف يجرؤ .. إن لدى هنا مستندات تكفى لإلقائه فى غياهب السجون لألف عام .

تنهَّد (أدهم) ، قائلاً :

ـ هذا ما أخبرته به ، ولكنه ضحك ساخرًا ، وقال : إنه لم يعد هناك وجود لتلك المستندات ، وإنه ألقاها فى النار بنفسه .

هبَّ (ميديتشى) من مقعده ، صارخًا :

ـ كاذب .. كاذب حقير .. هذه المستندات لم تفارق خزانتى قط .

قال (أدهم) :

ـ معذرة يا دون ، ولكنه يؤكِّد هذا فى إصرار ، و ...

قاطعه (ميديتشى) فى ثورة :

ـ قلت لك : إنه كاذب حقير .. هذه المستندات لم تفارق خزانتى قط ..

لا أحد يمكنه حتى العثور عليها .

قال هذا ، واندفع نحو الجدار المجاور لمكتبه ، ووضع يده فوقه ، و ...

وفجأة ، توقَّف ، وتراجع قائلاً فى صرامة :

ـ انتظرنى فى الخارج مع (ليديا) يا (برنارد) .

خفق قلب (ليديا) فى عنف ، ولوَّح (أدهم) بكفه ، كما يفعل (برنارد) ، قائلاً :

ـ دون .. الأمر لا يحتمل ...

قاطعه (ميديتشى) فى حدة :

ـ انتظرنى فى الخارج يا (برنارد) .. أنت تعرف القواعد .

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هل تصرّ يا دون ؟

حدَّق (ميديتشى) فى وجهه بدهشة ، قبل أن يهتف :

ـ ماذا أصابك يا (برنارد) ؟.. أنت تعلم أننى لن أكشف هذا السر قط .

تبادل (أدهم) نظرة قصيرة مع (ليديا) ، ثم هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ فى هذه الحالة ..

وفى جزء من الثانية ، كان مسدسه مصوَّبًا إلى (ميديتشى) ، الذى ارتفع حاجباه فى ذهول ، وهتف فى شحوب :



ولكن (أدهم) سبقه إلى هناك ، وقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ..

- (برنارد) ؟!.. ماذا تفعل ؟!

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة ساخرة ، لا تتناسب قط مع شخصية المحامى ، وهو يجيب بصوته الحقيقى :

- أخترق جهازك الأمنى للمرة الثالثة يا دون .

تراجع (ميديتشى) فى عنف كالمصعوق ، حتى أنه ارتطم بمكتبه ، وهو يهتف :

- مستحيل !.. مستحيل !

ثم انتزع نفسه من ذهوله بسرعة مدهشة ، ووثب نحو زر الإنذار فوق مكتبه ، ولكن (أدهم) سبقه إلى هناك ، وقبض بأصابعه الفولاذية على معصمه ، وهو يقول متهكمًا :

- ليس بهذه السرعة .

حاول (ميديتشى) أن يقاومه فى عنف ، هاتفًا :

- كيف فعلتها ؟!.. كيف انتحلت شخصية (برنارد) على هذا النحو ؟.. أين (برنارد) الحقيقى ؟!

لوى (أدهم) ذراعه خلف ظهره ، فى حركة سريعة قاسية ، وهو يقول :

- محاميك الداهية يرقد فاقد الوعى ، فى حقيبة سيارته الخلفية ، ولست أعتقد أنه سيستعيد وعيه ، قبل

نصف ساعة أخرى ، نكون خلالها قد انتهينا من مهمتنا ، وحصلنا على المستندات .

هتف (ميديتشى) :

ـ مستحيل !.. لن تحصل على تلك المستندات إلا على جثتى .. ها هى ذى الحجرة أمامك .. ابحث عنها ، لو أنك تظن نفسك ذكيًّا .

دفعه (أدهم) نحو الجدار المجاور للمكتب ، قائلاً :

ـ خزانتك هنا يا دون .. لقد كشفت نفسك بنفسك الآن .. قل لى : كيف تفتحها ؟

أجابه فى صرامة :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

سرى توتر عنيف فى جسد (ليديا) ، وهى تقول :

ـ لو أنه رفض التعاون معنا ، ستنهار خطتنا كلها ، وسأكون قد نسفت عمل عامين كاملين بتعاونى معك .

جذب (أدهم) إبرة مسدسه ، ودفعه فى عنق (ميديتشى) فى قسوة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اطمئنى يا (ليديا) .. دون (ميديتشى) الطريف سيتعاون معنا ، فهو لا يحب أن يحظى بثقب محترق فى عنقه .

هتف (ميديتشى) فى غضب :

ـ أنت أيضًا يا (ليديا) ؟!.. لست أصدّق هذا .. (ليديا) الجميلة المدلّلة تعمل لحساب المخابرات المصرية .

أجابته فى حدة :

ـ لا شأن لى بالمخابرات المصرية يا دون .. أنا عميلة فيدرالية .

صاح فى دهشة :

ـ عميلة فيدرالية ؟!.. من أواجه بالضبط ؟!.. أصدقاء دونا (كارولينا) ، أم رجال المخابرات المصرية ، أم الـ (إف . بى . آى)(*).

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ ليس لدينا وقت لهذه الأحاديث الصحفية يا دون .. هيا .. أخبرنا كيف نفتح خزانتك السرية ، وإلا نسفت رأسك الغبى هذا .

صاح (ميديتشى) :

ـ مستحيل !.. مستحيل !.. مستحيل !

لوى (أدهم) ذراعه بقوة أكبر ، فأطلق صيحة ألم ، جعلت (ليديا) تهتف متوترة :

(*) إف . بى . آى : F. B. I : المباحث الفيدرالية الأمريكية .

- رويدك يا (أدهم) .. صياحه هذا سيجذب الجميع إلى هنا .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يلوى ذراع الدون أكثر :

- دعيه يملأ الدنيا صراخًا وعويلاً ، ولكننى سأكسر عنقه لو اقتضى الأمر ، ما لم يفصح لنا عن سر الخزانة .

هتف (ميديتشى) فى ألم :

- اكسره لو أردت ، ولكنك لن تحصل منى على حرف واحد .

كان من الواضح أن الصقلى الكهل عنيد للغاية ، وأنه ما من وسيلة لإجباره على الإدلاء بسر خزانته الخاصة ، ثم أن (أدهم) كان يشعر بالضيق ، لأنه يعامله بهذا الأسلوب العنيف ، لذا فقد قال فى غضب :

- اسمعنى جيدًا يا دون .. لقد عرفنا أن الخزانة هنا ، وسنصل إلى محتوياتها بأى ثمن ، حتى ولو اضطررنا لنسف الجدار .

أجابه (ميديتشى) فى عناد :

- انسفه لو أردت ، ولكنك لن تحصل على شىء .

نفذت العبارة إلى عقل (أدهم) مباشرة ، فانعقد

حاجباه فى شدة ، وانطلق ذهنه يعمل فى سرعة ، و (ليديا) تقول فى توتر شديد :

- لن نحصل منه على كلمة واحدة .. لقد أخطأت بتعاونى معك .. لقد أفسدت كل شىء .. أفسدت عمل عامين كاملين .. لن يغفروا لى هذا قط .. لن يغفروه لى أبدًا .

ولكن (أدهم) قال لدون (ميديتشى) فى صرامة :

- إذن فأنت ترفض التعاون معى يا دون ، وفى هذه الحالة لا تصبح لك أهمية الآن .

هتف (ميديتشى) :

- ماذا ستفعل ؟!.. ماذا ستفعل ؟!

تصوّرت (ليديا) لوهلة ، أن (أدهم) سيطلق النار على دون (ميديتشى) ، ولكنها فوجئت به يضغط جانبى عنق (ميديتشى) فى سرعة ، فتهاوى هذا الأخير فاقد الوعى بين ذراعيه ، واتسعت عيناها فى دهشة ، وهى تسأله :

- ماذا فعلت به ؟

أجابها ، وهو يُرقد الدون على الأريكة القريبة :

- أوقفت مرور الدم فى وريديه العنقيين ، فافتقر المخ إلى الأكسجين ، وفقد الوعى .

سألته فى حيرة :
ـ هل تعرف كل شىء ؟
أجابها ، وهو يعتدل ، ويتجه إلى الجدار المجاور للمكتب :
ـ كلاً بالطبع .. لا أحد يعرف كل شىء فى عالم المخابرات .
قالها ، وراح يتحسَّس الجدار فى دقة واهتمام بالغين ، فلاذت هى بالصمت التام ، وتعلّق بصرها به فى لهفة وأمل ، ثم خفق قلبها فى عنف ، وهو يقول :
ـ آه .. ها هو ذا .
اندفعت نحوه ، هاتفة :
ـ هل عثرت على الخزانة ؟
أجابها فى ارتياح :
ـ بل على مفتاحها يا (ليديا) .. مفتاح الخزانة السرية .
للوهلة الأولى ، لم يلحظ بصرها أى شىء فى الجدار ، ولكن فجأة ، انتبهت إلى نقش ضئيل للغاية ، لا يتجاوز عمقه نصف المليمتر ، ولكن النظرة المدقّقة تجعله يتضح إلى حد ما ..

وشهقت (ليديا) فى قوة ؛ فقد كان ما أمامها مدهشًا ..
مدهشًا بحق ..

* * *

انعقد حاجبا (آرتى) فى شدة ، وهو يدير الأمر فى رأسه للمرة العاشرة ..
شىء ما فى أعماقه كان يلحّ على عقله ، بأن المحامى (برنارد) يختلف هذه المرة ..
يختلف إلى حد ما ..
صحيح أن ملامحه لم تختلف قط ، كذلك صوته ، ولكن شيئًا ما فيه لم يكن يشبه (برنارد) الذى يعرفه ..
وفى حرص ، اقترب منه أحد رجاله ، وهو يسأله :
ـ أما زال أمر (برنارد) يشغلك يا (آرتى) ؟
هزّ (آرتى) رأسه ، قائلاً :
ـ لا أستطيع إبعاد الأمر عن ذهنى أبدًا يا رجل .
أخرج الرجل علبة سجائره ، وقدّم لـ (آرتى) سيجارة ، وهو يقول :
ـ انفض عنك قلقك يا (آرتى) .. المحامى يجلس مع دون فى حجرة مكتبه ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، ولو أنه ليس (برنارد) الحقيقى ، لكشف دون أمره على الفور .

التقط (آرتى) السيجارة ، وأشعلها فى شرود ، وهو يقول :

ـ هذا ما أحاول إقناع نفسى به ، ولكن ..

لم يتمّ عبارته ، ولكن الرجل فهمه ، وغمغم :

ـ من الواضح أن أعصابك متوترة أكثر مما ينبغى يا (آرتى) .. أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة .

أومأ (آرتى) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ إنك على حق يا رجل .. أعتقد أننى بحاجة إلى هذا بالفعل ، ولو أن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، والتفت إلى منطقة انتظار السيارات ، فسأله الرجل فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (آرتى) ؟

أجابه (آرتى) فى توتر :

ـ هل تسمع هذه الدقّات ؟!

سأله الرجل ، وهو يتطلّع بدوره إلى السيارات :

ـ الدقّات ؟!.. أية دقّات ؟!

اندفع (آرتى) نحو مكان انتظار السيارات ، هاتفًا :

ـ انصت جيدًا يا رجل .. إنها دقّات واضحة .

لحق به الرجل ، وراحت تلك الدقّات تتضح تدريجيًا ، كلما اقتربا من السيارات ، فهتف الرجل :

ـ نعم .. الآن أسمعها فى وضوح .

قادتهم تلك الدقّات إلى سيارة (برنارد) ، التى تصدر من حقيبتها الخلفية ، فقال (آرتى) فى انفعال :

ـ هناك شىء ما هنا .. أو شخص ما .

أجابه الرجل فى قلق :

ـ دعنا نحضر مفاتيح السيارة من مستر (برنارد) ، و ...

قاطعه (آرتى) فى عصبية :

ـ لا يا رجل .. مستر (برنارد) هو آخر شخص نحتاج إلى موافقته الآن .

ثم التقط رافع إطارات معدنى ، فصاح به الرجل :

ـ ماذا ستفعل يا (آرتى) ؟

أجابه (آرتى) فى جذل :

ـ أى شىء يغضب مستر (برنارد) يا رجل .

وهوى بالرافع المعدنى على قفل الحقيبة الخلفية ، فكسره فى عنف ، ثم فتح الحقيبة ، و ...

واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ، وهو يحدّق فى (برنارد) المقيّد والمكمّم فى إحكام ، والذى تطلّع إليه بنظرة مستنجدة ، وهو يضرب قائم الحقيبة بقدمه ، فهتف الرجل المصاحب لـ (آرتى) :

ـ مستحيل !.. إنه مستر (برنارد) !!.. من يكون ذلك الموجود فى مكتب دون إذن .

ولم يجب (آرتى) ، وإنما تألّقت عيناه فى شدة ، فما دام هذا هو مستر (برنارد) الحقيقى ، فذلك يصنع فارقًا كبيرًا ..

ومميتًا .

* * *



١٣ ـ الدوار ..

نقرت دونا (كارولينا) على سطح المنضدة بأصابعها فى عصبية ، وراحت تنفث دخان سيجارتها العاشرة فى توتر ، حتى سمعت طرقًا هادئًا على باب حجرتها ، فقالت فى عصبية :

ـ ادخل .. إننى أنتظرك منذ نصف الساعة .

دلف رجل المخابرات المصرى إلى الحجرة فى هدوء ، ولوّح بكفه فى الهواء ، قائلاً :

ـ إنك تسرفين كثيرًا فى التدخين يا دونا .. حجرتك تكاد تختفى خلف سحب الدخان .

قالت فى حدة :

ـ هذا شأنى .

أجابها فى هدوء :

ـ هل تظنين هذا ؟!.. أعتقد أننى أخالفك الرأى يا دونا ، فكل الأديان والشرائع والنظم والقوانين ، لا تمنح المرء حق الانتحار ، وقتل نفسه بنفسه ، والتدخين قاتل بطىء ، يسبب فى النهاية أمراض الصدر والشرايين ، والأورام الخبيثة ، و ...

قاطعته غاضبة :

ـ لست أظننى طلبت حضورك ، لأننى أرغب فى سماع محاضرة عن أضرار التدخين .

ابتسم ، قائلاً :

ـ بالطبع ./ ماذا تريدين منى يا دونا ؟

أطفأت سيجارتها ، والتقطت أخرى ، قائلة فى حنق :

ـ أريد أن أعرف .. أأنا سجينة هنا ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة حقيقية ، وهو يهتف :

ـ سجينة ؟!.. كلا بالطبع يا دونا .. لقد أحضرناك هنا لحمايتك ، بناء على طلب سيادة العميد (أدهم) .

صاحت محنقة :

ـ لماذا لا يوجد سبيل للخروج إذن ؟!.. النافذة تطل على حجرة أخرى ، والباب ينتهى بحجرة مكتبكم ، وكل شىء يوحى بأنه من المحظور أن أغادر المكان .. إننى لا أجد حتى هاتفا .

كرّر الرجل فى شىء من الصرامة :

ـ كل هذا لحمايتك يا دونا .

لوّحت بذراعها فى غضب ، وهى تشعل سيجارتها باليد الأخرى ، صائحة :

ـ لست أريد هذه الحماية .. إننى أحتاج إلى التحدث إلى رجالى ، وإصدار بعض الأوامر ، و ...

قاطعها الرجل فى صرامة عنيفة :

ـ دونا (كارولينا) .

بترت عبارتها ، وهى تحدّق فى وجهه بدهشة ، فاستطرد بنفس الصرامة :

ـ من الطبيعى ألاّ يروق لك وجودك هنا ؛ لأن هذا يحجب شيئًا من حريتك ، التى ستستعيدينها فور استقرار الأمور ، ولكن الشىء الذى ينبغى عليك معرفته ، هو أننا نحن أيضًا نضيق بالموقف كله ؛ فحماية زعيمات المنظمات الإجرامية الكبيرة لا يدخل ضمن نطاق عملنا فى المعتاد ، لذا فنحن نشعر بالتوتر مثلك ، وربما أضعاف أضعاف ما تشعرين به .. ولا أحد هنا سيحتمل عنادك وعصبيتك ، ولو أنك تصرّين على إفساد الأمر ، فسنعيدك إلى شقتك ، ونتركك تواجهين رجال الشرطة ، ورجال دون (ميديتشى) ، وربما غيرهم .. هل تفهمين ؟

اتسعت عيناها ، وانعقد لسانها فى حلقها لحظات ، ثم لم تلبث أن تنحنحت ، قائلة ، فى محاولة لاستعادة هيبتها :

ـ المهم ألا يستمر هذا الأمر طويلاً .

رمقها الرجل بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ سيستمر حتى بداية الشهر على أكثر تقدير .
ثم استدار يغادر الحجرة ، إلا أنها هتفت به :
ـ هناك أمر آخر .
التفت إليها متسائلاً ، فأضافت فى عصبية :
ـ أريد بعض أدوات الزينة .
وعلى الرغم من توتره السابق ، لم يتمالك الرجل نفسه ، و ...
وانفجر ضاحكًا ..

* * *

حدَّقت (ليديا) طويلاً فى ذلك النقش الباهت ، قبل أن تقول فى انفعال ، وقلبها يدقّ فى قوة :
ـ إنها يد كاملة .
أجابها (أدهم) :
ـ نعم يا (ليديا) .. إنه نقش يتسع ليد كاملة ..
ثم التفت إلى (ميديتشى) الفاقد الوعى ، مستطردًا :
ـ يد الدون .
سألته مبهورة :
ـ وما السر فى وجود هذا النقش هنا ؟
انحنى يحمل جسد (ميديتشى) ، قائلاً :

ـ سترين .
وأمسك معصم (ميديتشى) فى قوة ، ثم ألصق راحته بموضع النقش ، فانطبقت عليه تمامًا ..
وهنا تردَّد فى المكان أزيز خافت ، أعقبه دوران المكتب حول محوره فى بطء ، كاشفًا فجوة سرية أسفله ، تحتوى كل وثائق ومستندات دون (ميديتشى) ..
وهتفت (ليديا) فى انفعال جارف :
ـ أخيرًا .. ياللعبقرية !.. من يخطر بباله هذا ؟.. الجدار يحوى المفتاح ، والخزانة نفسها أسفل المكتب .
أجابها (أدهم) ، وهو ينحنى لالتقاط الوثائق والمستندات :
ـ إنه ليس مفتاحًا عاديًا ، فهو لن يعمل إلا ببصمات دون (ميديتشى) وحدها .
سألته فى لهفة :
ـ وكيف توصَّلت إلى هذا ؟
أجابها وهو يدس الوثائق كلها فى جيوبه :
ـ عندما قلت لدون (ميديتشى) أننا سننسف الجدار ، للبحث عن الخزانة ، لم يبد أدنى اهتمام ، بل

بدا وكأن هذا يناسبه تمامًا ، وهنا استنتجت أن الجدار يحوى وسيلة فتح الخزانة فحسب ، وليس الخزانة نفسها .

قفزت تتعلّق بعنقه ، هاتفة :

ـ أنت رائع .. أروع رجل عرفته فى حياتى كلها .. لقد حقّقت بضربة واحدة ما عجزنا عنه لسنوات وسنوات .

قاطعها صوت (آرتى) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليس بعد .

استدارت إليه مع (أدهم) ، ووقع بصرهما عليه ، مع عشرة من رجاله ، وكلهم يحملون مدافعهم الآلية ، ويصوّبونها إليهما ، و (آرتى) يستطرد :

ـ فالعملية تنتهى هنا .

توترت (ليديا) بشدة ، ولكنها فوجئت بـ (أدهم) يبتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ مرحى يا (آرتى) .. أخيرًا نبت لك مخ فى قلب جمجمتك .. قل لى : أى سماد استخدمت هذه المرة ؟.. مخلفات الكلاب ؟!

جذب (آرتى) إبرة مدفعه الآلى فى غضب ، وهو يقول :

ـ لن تفيدك سخريتك هذه المرة يا رجل .. لقد عثرنا على (برنارد) الحقيقى فى حقيبة سيارته ، وفهمنا لعبتك كلها .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا يعنى أننى لم أعد بحاجة لهذا القناع السخيف .

قالها ، وانتزع قناع (برنارد) ، وألقاه جانبًا ، فحدّق فيه الرجال فى دهشة ، وهتف به أحدهم :

ـ كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ يمكنك اعتبارها مسألة اعتياد .

وهتفت (ليديا) فى توتر :

ـ لقد أجبرنى على هذا .. أنا نفسى لم أكشف حقيقته .. لم أكن أعلم أنه ليس (برنارد) الحقيقى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، مغمغمًا :

ـ يا للبسالة !

أما (آرتى) ، فصوّب إليهما مدفعه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كل هذا لن يفيد .. لقد انتهى أمركما .. الوداع .

ومع قوله ، رفع رجاله مدافعهم الآلية ، وصوّبوها إلى (أدهم) و (نيديا) ، و ...

وابتسم الموت ..

* * *

قطع الدكتور (أحمد صبرى) ممر المستشفى فى خطوات واسعة ، حتى بلغ قسم الحالات الحرجة ، ولم يكد يدلف إليه ، حتى وقع بصره على (قدرى) ، الذى التصق بالجدار الزجاجى لحجرة (منى) ، وراح يتطلّع إليها فى حزن صامت ، وقد التفّ الأطباء حول فراشها ، والحيرة تملأ عقولهم مرة أخرى ، لذلك النشاط الفائق غير المفهوم ، الذى يعلنه مخها بغتة ، ودون مقدمات معروفة ، من حين لآخر ..

وفى هدوء ، اقترب الدكتور (أحمد) من (قدرى) ، ووضع يده على كتفه ، قائلاً :

ـ اطمئن يا صديقى .. أنا هنا .

التفت إليه (قدرى) بعينين دامعتين ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم أنك ستأتى .. إنها بحاجة إليك .

تطلّع الدكتور (أحمد) ، عبر الجدار الزجاجى ، إلى جهاز رسم الإشارات المخية ، وهو يقول :

ـ المفروض أننا وحدنا نفهم سر ما يصيبها .. هذا لا يعرّضها لأية مخاطر يا رجل .. اطمئن .. إننى أدرس حالتها طوال الوقت ..

أجابه (قدرى) فى مرارة :

ـ ولكنه يعنى أن (أدهم) فى خطر .

تنهّد الدكتور (أحمد) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ (أدهم) يعرف كيف يدافع عن نفسه .

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزن ، متطلّعًا إلى كفه :

ـ أعلم هذا ، ولكننى لا أستطيع منع نفسى من الأسى ، لأننى لا أستطيع مد يد العون إليه ، لو اقتضى الأمر .

ربّت الدكتور (أحمد) على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

ـ كل شىء سيعود كما كان يا رجل .. إنها مسألة وقت .

ابتسم (قدرى) فى مرارة ، وهو يقول :

ـ أعلم أنها مسألة وقت ، ولكن كم ؟.. ومتى ؟!

تطلّع إليه الدكتور (أحمد) مشفقًا ، ثم تركه ، ودلف إلى الحجرة ، قائلاً :

- كيف حالكم أيها السادة ؟!.. أما زال نشاط المخ الزائد هذا يربككم ؟

التفتوا إليه جميعًا فى دهشة ، ثم اندفعوا يصافحونه ويرحبون به ، وأجابه أحدهم :

- الواقع أنه ما زال يربكنا بالفعل يا دكتور (صبرى) ، فهو يحدث بغتة ، دون أية مؤشرات تسبقه أو تعقبه ، وهذا لا يمنحنا فرصة دراسته على نحو جيد ، ولكنه بالتأكيد حالة خاصة .. خاصة جدًّا .

كان الجهاز يواصل رسم تلك المنحنيات الحادة والنشاطات الزائدة ، فتطلّع إليه الدكتور (أحمد) لحظات ، ثم عقد حاجبيه ، قائلاً :

- أخبرونى أيها السادة .. هل سجّلتم النشاطات السابقة لمخها ؟

أجابه كبيرهم :

- نعم يا دكتور (أحمد) .. لدينا هنا تسجيلات لكل التطورات التي حدثت لمخها ، منذ وصولها إلى هنا .

عاد يتطلّع لحظات إلى الجهاز ، قبل أن يقول فى حزم :

- إذن فأنا أريد أن أفحصها كلها ، فور انتهاء هذه النوبة .

قالها ، وهو يعاود التطلّع إلى الجهاز ، فقد كان هناك أمر ما يقلقه هذه المرة ..

يقلقه بشدة ..

* * *

« يا للسخافة !.. »

نطق (أدهم) هذه الكلمة فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى فوهات المدافع الآلية المصوّبة إليه ، قبل أن يستطرد متهكمًا :

- هل انحدر الأمر بـ (آرتى) ، إلى حد قتل خصومه بهذه الوسيلة النمطية ؟

انعقد حاجبا (آرتى) فى شدة ، وأشار لرجاله بالتوقف ، و (أدهم) يضيف :

- كنت أتصوّر أنك ستمارس فنك الشهير ، وتجد وسيلة مبتكرة للقضاء علينا ، ولكن يبدو أن الصدأ يصيب كل العقول ، حتى عقل (آرتى) الفنان .

لم تفهم (ليديا) ما يرمى إليه (أدهم) بحديثه العجيب هذا ، وسمعت (آرتى) يقول فى حدة :

- أنت جلبت هذا لنفسك يا رجل .. سأتيح لك تذوق فن (آرتى) لآخر مرة فى حياتك .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أصحبوهما إلى حوض السباحة .

سألت (ليديا) (أدهم) ، والرجال يصحبونهما إلى الخارج :

ـ ماذا ترمى إليه بالضبط ؟

أدهشتها ابتسامته ، وهو يجيب فى هدوء :

ـ شىء من المرح يا عزيزتى (ليديا) .. شىء من المرح .

اتجه بهما الرجال إلى السلم ، الذى يهبط إلى الطابق الأرضى ، وسار (آرتى) مع خمسة من رجاله أمامهما ، فى حين سار الخمسة الآخرون خلفهما ، وما أن أصبح الجميع فى منتصف السلّم ، حتى هتف (أدهم) فجأة :

ـ الآن .

ثم جذب (ليديا) إلى أسفل ، وهو يركل أقرب الرجال إليه بقدمه فى عنف ، فسقط مرتطمًا بزملائه ، وتدحرج الجميع مع (آرتى) على درجات السلم ، فى حين دار (أدهم) على عقبيه فى سرعة ، ولكم الرجل الواقف خلفه مباشرة لكمة عنيفة ، وهو ينتزع مدفعه الآلى ، فى نفس اللحظة التى تشبّثت فيها (ليديا) بمدفع رجل آخر ، وهى تركله بكل قوتها بين ساقيه ..

وقبل أن يستوعب الرجال الثلاثة الآخرون المفاجأة ، كانت (ليديا) تصوّب فوهة المدفع الآلى إليهم ..

وتنطلق النار ..

وبلا رحمة ، انطلقت الرصاصات تحصد الرجال الثلاثة ، وتفجّرت دماؤهم فى وجهى (أدهم) و (ليديا) ، فهتف الأوّل فى غضب :

ـ ماذا فعلت ؟!.. لم يكن من المحتّم أن نقتلهم !

استدارت فى سرعة إلى الرجال أسفل السلم ، وهى تصرخ :

ـ لا توجد وسيلة أخرى .

أمسك مدفعها فى اللحظة الأخيرة ، فانطلقت رصاصاته فى الهواء ، مما منح الفرصة لـ (آرتى) ورجاله ، ليركضون خارج القصر ، فصرخت (ليديا) :

ـ ماذا فعلت ؟.. كان يمكننا أن نحصدهم جميعًا بضربة واحدة .

صاح بها غاضبًا :

ـ ألا يمكنك التفكير فى وسيلة أخرى ، بخلاف إراقة الدماء ؟

أجابته صارخة :

ـ كل ما أفكِّر فيه هو أن الدماء ستراق حتمًا ، فإما أن تكون دماءهم أو دماءنا .

هبط (أدهم) السلّم فى قفزات سريعة ، وهو يقول :

ـ من الواضح أننا نختلف كثيرًا فى هذا الأمر أيتها الأمريكية .

ارتفع من الخارج صوت (آرتى) ، وهو يصرخ :

ـ حاصروا المكان .. لا تسمحوا لهما بالخروج من هنا على قيد الحياة .

صاحت (ليديا) فى حنق :

ـ هل رأيت ؟.. كان يمكننا أن ننهى هذا الموقف ببضع رصاصات .

أجابها فى صرامة ، وهو يدير عينيه فيما حوله :

ـ اصمتى يا (ليديا) .

وتوقَّف بصره عند وعاء أثرى جميل ، يزيِّن أحد أركان البهو ، فاتجه إليه بسرعة ، وألقى الوثائق والمستندات داخله ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وناولها إلى (ليديا) ، قائلاً :

ـ هيا .. أبلغى رفاقك أنك حصلت على الوثائق ، واطلبى منهم مداهمة قصر دون (ميديتشى) بأقصى سرعة .

التقطت منه سمّاعة الهاتف ، وهى تقول فى عصبية :

ـ لن يكون هذا سهلاً .

تركها تتصل برفاقها ، واتجه إلى النافذة فى ركن البهو ، يختلس النظر منها إلى الخارج ، ورأى رجال (آرتى) يعدون فى كل مكان ، وهم يحملون أسلحتهم ، وسمع (آرتى) بينهم يصيح :

ـ استسلم يا رجل .. لن تجد ثغرة واحدة للفرار هذه المرة .

كان النشاط أمام القصر جمًّا إلى حد كبير ، وكأن (آرتى) يعلن قوته ، ويبرز حجم جيشه الصغير ..

وفجأة ، سمع (أدهم) (ليديا) تصرخ :

ـ اللعنة !.. إنها خدعة .. احترس يا (أدهم) .

استدار إليها فى سرعة ، وانتبه فى هذه اللحظة فقط ، إلى باب سرى خلفه ، فى ركن البهو ، يندفع منه عدد من الرجال ، و ...

وهوت ضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ، مع دوى رصاصات مدفع (ليديا) ، فحاول أن يتماسك ، على الرغم من الدوار العنيف ، إلا أن ضربة أخرى امتزجت فى رأسه بصرخات العميلة الفيدرالية ، قبل أن يخبو كل شىء بغتة ، ويرتطم جسده بالأرض ، وقد فقد الوعى وسط بهو قصر دون (ميديتشى) ..

ورجال دون (ميديتشى) ..

* * *

١٤ـ عرين الذئاب..

دق (قدرى) باب حجرة الدكتور (أحمد صبرى) فى توتر ملحوظ، ثم دفع الباب قبل حتى أن يتلقى الرد، وهو يقول فى لهفة:

ـ الحالة تزداد سوءًا يا دكتور.. يبدو أن (أدهم) يتعرَّض لخطر داهم هذه المرة.

استقبله الدكتور (أحمد) بنظرة متوترة، وهو يقول:

ـ اهدأ يا (قدرى).. اهدأ.. يبدو أننا لا نملك ما نفعله، إزاء هذا التطوّر العجيب، سوى أن ننتظر، ونبتهل لله (سبحانه وتعالى) أن يشملها برحمته.

فغر (قدرى) فاه فى دهشة، قبل أن يهتف مستنكرًا:

أهذا قول طبيب متخصّص؟

أومأ الدكتور (أحمد) برأسه إيجابًا فى أسف، وهو يجيب.

ـ للأسف يا (قدرى).. العلم يقف عاجزًا أمام تلك الحالة العجيبة، التى تمرّ بها (منى).. ليس أمامنا ما نفعله.. إن ذلك النشاط الزائد فى مخها، لا يشمل

المراكز الحيوية، التى يمكننا التأثير عليها بالعقاقير المهدّئة، أو المثبطة لنشاط المخ، وحتى رسم المخ المقطعى، والرنين المغنطيسى لا يبرزان أية عوامل جديدة ولكن ...

صمت لحظة، وهو يهزّ رأسه فى أسى، فهوى قلب (قدرى) بين قدميه، وهو يسأله بصوت مبحوح:

ـ ولكن ماذا؟

أشار الدكتور (أحمد) إلى تقارير رسم المخ الموضوعة أمامه، وهو يقول:

ـ ولكن هذه التقارير تشير إلى أن خلايا المخ تنهار فى بطء.

سأله (قدرى)، وكل خلية من خلاياه ترتجف جزعًا:

ـ وما الذى يعنيه هذا؟

زفر الدكتور (أحمد) فى مرارة، قبل أن يجيب:

ـ الذى يعنيه هو أنه، حتى ولو استعادت (منى) وعيها يومًا، فإنها لن تعود تلك الفتاة التى عرفناها.

وخفض عينيه مستطردًا فى حزن غامر:

ـ لن تعود كذلك أبدًا.

وعلى الرغم من الزاوية التى ينظر منها (قدرى) ، ومن الصدمة التى زلزلت كيانه كله ، مع هذا القول ، إلا أنه استطاع أن يلمح ذلك الشىء ، الذى تساقط فوق تقارير رسم المخ ..

لقد كانت قطرات دموع ..

دموع الدكتور (أحمد صبرى) ..

* * *

فجأة ، استعاد (أدهم) وعيه ..

عاد إليه شعوره بكل ما حوله ، واستيقظ عقله دفعة واحدة ، لينتبه إلى أنه راقد فوق أرضية باردة ، والشمس تغمر وجهه ، ومن حوله وقع أقدام تتحرّك بلا نظام ، فى حين أن قدميه ومعصميه مقيدين فى إحكام ..

وعندما فتح عينيه فى بطء ، كان أوّل ما طالعه ابتسامة (آرتى) الساخرة ، وهو يقول :

ـ كم يسعدنى أنك قد استيقظت يا رجل ، فمن المؤسف أن تلقى مصرعك ، دون أن تعلم كيف فعلها بك (آرتى) الفنان .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يغمغم :

ـ أخشى أن تتطوّر الأمور ، ويتحوّل (آرتى) الفنّان إلى (آرتى) المسكين .

صكّ مسامعه صوت (ليديا) ، وهى تهتف فى حنق :

ـ أما زلت قادرًا على السخرية والمزاح .

التفت إليها فى هدوء ، وانعقد حاجباه ، عندما رأى الكرة المعدنية الضخمة ، المربوطة بسلسلة من المعدن فى كاحليها ، وانتبه فى اللحظة نفسها إلى وجود كرة مماثلة إلى جوار ساقه ، تصلها سلسلة مشابهة برباط قدميه ، فقال دون أن تتلاشى ابتسامته :

ـ كيف حالك يا عزيزتى (ليديا) ؟.. أخبرينى .. هل قرّر (آرتى) الوغد وضعنا فى أحد سجون العصور الوسطى ؟!

قالها ، وهو يبذل قصارى جهده للتخلّص من قيوده ، التى بدت محكمة إلى حد كبير ، فى حين قال (آرتى) فى شماتة :

ـ (آرتى) الفنّان لن يضيع الوقت فى رعاية السجناء .. إنه ـ وبكل بساطة ـ سيلقى بكما فى قاع المنطقة العميقة من حوض السباحة ، ووظيفة هذه الكرات المعدنية الثقيلة ، هى التأكد من بقائكما فى القاع ، حتى تنفجر رئة كل منكما .

مطّ (أدهم) شفتيه ، وهو يقول :

ـ ميتة لا بأس بها ، ولكنها تختلف كثيرًا عما تصوَّرته .

كان يتظاهر بالسخرية واللامبالاة ، وأصابعه تبذل قصارى جهدها لحل قيود معصميه بلا جدوى ، فى حين انفجرت (ليديا) باكية ، وهى تقول :

ـ هذه نتيجة تعاونى معك .. كان كل شىء يسير على ما يرام ، حتى ظهرت فى الصورة .

أجابها (أدهم) فى تهكّم :

ـ وحقّقت بضربة واحدة ما عجزتم عنه لعامين كاملين .. أليس كذلك ؟

صاحت منهارة :

ـ كنت أفضّل أن أنجح بعد عام آخر ، بدلاً من أن ألقى مصرعى على هذا النحو .

ابتسم (أدهم) ، وهو يرمق (آرتى) بنظرة جانبية ، قائلاً :

ـ ومن قال إننا سنلقى مصرعنا يا عزيزتى (ليديا) ؟.. إن (آرتى) الوغد يداعبنا فحسب .. أراهنك أنه لم يحصل على موافقة دون بعد ، ليفعل بنا هذا .

أجابه (آرتى) فى حدة :

ـ دون ما زال فاقد الوعى ، ولكننى واثق من أنه سيمنحنى مكافأة كبيرة ، عندما يرى جثتيكما ، فى قاع الحوض .

ثم أشار إلى رجاله ، مستطردًا فى تشفٍّ :

ـ وحتى لا نضيع الوقت ، سنبدأ بك أيها المتبجّح .

أسرع الرجال يحملون (أدهم) ، ووضعوا الكرة المعدنية على حافة الحوض ، فاقترب منها (آرتى) ، وهو يقول :

ـ اتل صلاتك الأخيرة يا رجل ، فدفعة واحدة من قدمى ستلقيك مع الكرة فى الحوض ، وتغوص بك إلى عمق ستة أمتار كاملة .. قل لى : كم من الوقت يمكنك كتم أنفاسك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ساخر :

ـ ما يكفى لأراك عندما يستعيد دون وعيه ، ويقطع يديك بلا رحمة ؛ لأنك قتلتنا دون الرجوع إليه .

قال (آرتى) فى ثورة :

ـ هل تظن هذا ؟!.. أرنا براعتك إذن يا صاح .

كانت قدمه تهمّ بدفع الكرة المعدنية الثقيلة ، عندما دوى صوت (ميديتشى) فى قوة :

ـ انتظر يا (آرتى) .. إياك أن تفعل .

احتقن وجه (آرتى) ، عندما أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قائلاً :

ـ ألم أقل لك ؟.. متى ستتعلّم الاستماع إلى نصائحى يا (آرتى) الغبى ؟

تفجّر غضب الدنيا كلها فى وجه (آرتى) ، وصرخ فى جنون :

ـ عندما تصل إلى الجحيم .

وبكل الغيظ والغضب والثورة فى أعماقه ، تجاهل (آرتى) أوامر دون (ميديتشى) لأوّل مرة فى حياته ، ودفع الكرة المعدنية الثقيلة نحو الحوض ..

وفى لحظة واحدة ، وجد (أدهم) جسده يرتطم بمياه حوض السباحة الباردة ، قبل أن يغوص مع الكرة المعدنية إلى عمق ستة أمتار ..

وبسرعة مدهشة ..

* * *

انعقد حاجبا رجل المخابرات المصرى ، فى مكتب (نيويورك) ، وهو يواجه دونا (كارولينا) ، قائلاً فى صرامة :

ـ كنت أظن أننا حسمنا أمر خروجك هذا يا دونا .

هزّت كتفيها فى عناد ، وهى تقول :

ـ لقد تراجعت .. اعتبرنى مجرَّد طفلة عنيدة ، ولكننى أصرّ على الخروج من هنا .. أريد إجراء بعض الاتصالات ، سأسعى للاستفادة من الموقف لأقصى درجة .

ثم أضافت فى حدة :

ـ أم أنكم تعتبروننى سجينة هنا ؟

بدا الضيق على وجه الرجل ، وهو يجيب :

ـ أنت تعلمين أنك لست سجينة هنا أبدًا يا دونا .. إننا نتحدَّث عن حمايتك .

أشارت إلى صدرها ، قائلة فى غضب :

ـ أنا زعيمة زعماء (المافيا) ، ولو لم يكن بمقدورى أن أحمى نفسى ، فلست أستحق هذه الزعامة .

تنهَّد ، قبل أن يقول :

ـ هل تصرّين ؟

أجابته فى حدة :

ـ نعم .. أصرّ على مغادرة هذا المكان ، حتى ولو اضطررت للقتال من أجل حريتى .

رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ القتال ؟!

ثم فتح الباب أمامها ، مستطردًا :

ـ لا حاجة بك للقتال يا دونا .. ها هو ذا الباب مفتوح على مصراعيه .. تفضّلى ..

اندفعت تغادر المكان ، وهى تقول فى حدة :

ـ الوداع إذن .

راقبها رجل المخابرات فى صمت ، حتى استقلّت المصعد ، لتهبط إلى مدخل البناية ، ثم التفت إلى زميله ، قائلاً :

ـ أبلغ (مراد) و (فهمى) لاسلكيًّا ، أن دونا (كارولينا) فى طريقها إلى أسفل ، وعليهما أن يتبعاها لحمايتها ، دون أن تشعر بوجودهما ، ثم تعال لتعاوننى فى جمع أشيائنا ، حتى نعود إلى مكتبنا الأصلى ، ونسلم هذه الشقة لصاحبها .. هيَّا .

أما دونا ، فلم تكد تغادر البناية ، حتى التقطت نفسًا عميقًا من هواء (نيويورك) ، وعبرت الشارع فى خطوات واسعة ، حتى بلغت أوّل هاتف عام ، فطلبت رقم شقة رجالها ، ولم تكد تسمع صوت أحدهم ، حتى قالت :

ـ أنا دونا .. لا تندهش هكذا يا رجل ، ولا تصرخ ، فصوتك يكاد يخترق أذنى ، نعم ــ أنا بخير .. سأشرح لكم كل شىء عندما أعود .. المهم الآن أن تنفذ

ما سآمرك به دون إبطاء ، فلقد بدأت أميل إلى (نيويورك) هذه ، ولدى خطة لنقلبها رأسًا على عقب .

قالت عبارتها الأخيرة ، وهى تبتسم ابتسامة كبيرة ..

ـ وماكرة ..

* * *

امتقع وجه دون (ميديتشى) فى شدة ، عندما شاهد (آرتى) يدفع (أدهم) إلى الأعماق ، وصرخ فى جنون :

ـ ماذا فعلت أيها التعس ؟

ثم انقضّ على (آرتى) ، وصفعه على وجهه صارخًا :

ـ كيف جرؤت على مخالفة أوامرى ؟.. كيف ؟

أجابه (آرتى) فى حدة غاضبة :

ـ كان يستحق هذا يا دون .. لن نبقى على حياته ، بعد كل ما فعله بك وبنا .

صرخ فيه (ميديتشى) :

ـ ولكنه أخذ المستندات أيها الغبى ، وكان ينبغى أن نعرف أين هى ، قبل أن نقضى عليه .. أنت غبى .. غبى وحقير .

صاح (آرتى) ، مشيرًا إلى (ليديا) :

- ولِمَ لا تسأل تلك اللعينة ؟.. إنها لا تزال على قيد الحياة .

التفت (ميديتشى) إلى (ليديا) بالفعل ، وسألها وجسده ينتفض انفعالاً :

- أين هى يا (ليديا) ؟.. أين الوثائق والمستندات ؟

أجابته فى عصبية :

- لست أدرى يا دون .. الشخص الوحيد ، الذى كان يمكن أن يجيب سؤالك ، يرقد فى قاع حوض السباحة الآن .

احتقن وجه (ميديتشى) ، وسمع (آرتى) يقول محتدًا :

- فلتذهب تلك الأوراق اللعينة إلى الجحيم ، لم أكن لأترك هذا المتحذلق حيًا ، حتى ولو ...

التفت إليه دون (ميديتشى) فجأة ، وهو يصرخ :

- بل أنت من سيذهب إلى الجحيم يا (آرتى) .. أنت .

قالها وهو يستلّ مسدسه ، وأطلق منه ست رصاصات متتالية على جسد (آرتى) ، الذى جحظت عيناه فى ألم وذهول ، وهتف بصوت مختنق :

- أنت .. أنت يا دون ؟!

ثم هوى جثة هامدة ، فى حوض السباحة ، و (ميديتشى) ينتفض غضبًا ، هاتفًا :

- أنت تستحقها يا (آرتى) .. تستحقها عن جدارة .

كان يتطلّع إلى الحوض ، الذى اصطبغ بلون الدم ، وخُيِّل إليه أن جثة (آرتى) تتحرّك تحت سطح الماء ، وترتفع فى سرعة ، و ...

وفجأة ، برز رأس خارج الماء ..

وشهق (ميديتشى) فى ذهول ..

فلم يكن ذلك الرأس يخصّ (آرتى) ، وإنما كان هذا الذى صعد إلى السطح هو غريمه اللدود ..

كان (أدهم) ..

* * *

عندما غاص جسد (أدهم) فى حوض السباحة كالحجر ، أدرك هذا الأخير أن فرصته فى النجاة محدودة للغاية ، مع ذلك الثقل المقيّد فى قدميه ، ولكنه كتم أنفاسه فى شدة ، محاولاً إدخار الهواء القليل فى رئتيه ، وترك جسده يهبط إلى القاع ، وشعر بضغط الأمتار الستة على أذنيه ، وهو يواصل محاولته المستميتة للتخلّص من قيوده ، ولما بدا له هذا عسيرًا

إلى حدّ كبير ، لم يجد أمامه سوى أن يغوص بجسده أكثر إلى القاع ، حيث استقرَّت الكرة الثقيلة ، واستنفر مرونته الفائقة ، وكل ما تعلَّمه منذ أكثر من عشرين عامًا ، فى دروس الجمباز (*) ، ليثنى جسده وركبتيه على نحو مدهش ، لا ينافسه فيه سوى أبطال السيرك ، ويصل بأسنانه إلى الحبل الذى يربط قدميه ، والذى تتصل به تلك السلسلة ، التى تنتهى بالكرة الثقيلة ..

ولم يكن الأمر سهلاً ..

لقد استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، كادت أنفاسه تنقطع خلالها ، قبل أن ينجح فى فك عقدة الحبل ، ويخلّص قدميه من ذلك الثقل ، الذى يشده إلى القاع ..

وبكل قوته ، دفع (أدهم) جسده إلى السطح ، ليستنشق الهواء النقى ..

وفجأة ، سمع دوى الرصاصات ، ثم سقطت جثة (آرتى) فى الحوض ، الذى اصطبغت مياهه بلون الدم ..

(*) الجمباز : تمارين رياضية ، الهدف منها اكتساب مرونة عضلية ، وقدرة على التحكُّم فى شدَّات العضلات ، وتنمية الجسم بشكل متوازن ، ويعود الفضل فى نشأة هذه الرياضة فى العصر الحديث ، إلى (فريدريك لودفينج يان) .

وتفادى (أدهم) الجثة ، وهو يضرب الماء بقدميه ، وصدره يكاد ينفجر ، حتى برز رأسه فوق السطح ، فأطلق شهقة قوية ، وهو يملأ صدره بالهواء ..

وفى ذهول فرح ، صاحت (ليديا) :

ـ إنه هو .. مستحيل !.. مستحيل !

أما (ميديتشى) ، فصاح فى رجاله :

ـ أخرجوه من الماء .. أسرعوا .

أسرع الرجال يجذبون (أدهم) خارج الماء ، وهذا الأخير يلتقط أنفاسه فى صعوبة ، ويلهث فى شدة ، ويداه مكبلتان خلف ظهره ، فاقترب منه دون ، يسأله فى انفعال :

ـ أين الوثائق ؟.. أين أخفيت الوثائق ؟

كان (أدهم) يسعل ويتأوّه ، ويبدو أشبه بمن يعانى من غيبوبة خفيفة ، وأنفاسه تتلاحق على نحو عجيب ، فهتف (ميديتشى) فى رجاله :

ـ ماذا تنتظرون ؟.. أسعفوه بسرعة .. لابد وأن يخبرنا أين أخفى الوثائق ، قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

التفَّ الرجال حول (أدهم) ، يحاولون إسعافه ، إلا

أن أنفاسه ظلّت تتردّد كاللهاث ، وعيناه تدوران فى محجريهما ، كمن يعانى سكرات الموت ، فأسرع أحد الرجال يحلّ وثاقه ، و ...

وفجأة ، استعاد ذلك الجسد المتهالك نشاطه كله دفعة واحدة ..

لم يكد الرجل يخلّصه من قيوده ، حتى قفز (أدهم) واقفًا بين الرجال فجأة ، وهو يهتف ساخرًا :

ـ مفاجأة .

وقبل أن تمرّ نصف الثانية ، كانت أطرافه الأربعة تتحرّك كلها فى آن واحد تقريبًا ، فيركل هذا ، ويضرب ذاك ، ويلكم رجلاً ، ويدفع آخر ..

وتراجع دون (ميديتشى) كالمصعوق ، وهو يرى رجاله يتساقطون بسرعة ، قبل أن يتمالكوا أنفسهم ، ويفيقوا من أثر المفاجأة ، ثم رأى (أدهم) يلتقط مدفعًا آليًا ، وهو يهتف :

ـ خسرتم أيها الأوغاد .

وفى اللحظة التالية ، كان رجال المباحث الفيدرالية الأمريكية يقتحمون القصر ، ويتبادلون إطلاق النيران مع رجال (ميديتشى) ، فصرخت (ليديا) فرحًا :

ـ أخيرًا .. لقد وصل الرفاق .

أجابها (أدهم) فى سخرية ، وهو يلكم رجلاً آخر :

ـ بهذه السرعة ؟!.. كنت أتصورّ أن أمامهم دهرًا آخر ، قبل أن يتخذوا هذا القرار .

أما دون (ميديتشى) ، فأدرك أنه قد خسر معركته ، فانطلق بكل الغضب والسخط فى أعماقه إلى حيث تقف سيّارته المصفّحة ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !.. كل شىء انتهى .. كل شىء .

وقفز داخل السيارة ، وانطلق بها على الفور نحو الباب الخلفى السرّى للقصر ، وفتحه بضغطة زر على جهاز خاص فى السيارة ، ولكنه لم يكد يتجاوزه ، حتى اعترضت طريقه سيارة أخرى ، وانقضّ على سيارته أربعة رجال يحملون المدافع الآلية ، فى حين بدت أمامه دونا (كارولينا) ، داخل السيارة التى تعترضه ، وهى تشعل سيجارتها فى هدوء ، وترمقه بنظرة جانبية ، قائلة :

ـ إلى أين يا دون (ميديتشى) ؟.. ألديك موعد ما ؟!

وهنا .. هنا فقط ، أدرك (ميديتشى) أنه قد خسر معركته ..

معركته الأخيرة .

* * *

١٥ ـ الختام ..

أوقفت دونا (كارولينا) سيّارتها الفاخرة أمام المستشفى فى (نيويورك) ، وابتسمت وهى تقول لـ (أدهم) ، الجالس إلى جوارها :

ـ لست أدرى كيف أشكرك .. لقد كنت رائعًا كعهدى بك .. إننى أدين لك بالكثير .

أجابها فى هدوء :

ـ بالتأكيد ، وأوّل ما تدينين به هو وثائق وملفات التعاون ، بينكم وبين (الموساد) .

ابتسمت وهى تتطلّع إليه ، ثم ناولته علبة اسطوانات كمبيوتر ، قائلة :

ـ ستجدها كلها هنا .. أنت تستحقّها عن جدارة .

التقط العلبة ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا دونا ، وأرجو أن يكون هذا آخر تعاون بيننا ، على هذا النحو .

أجابته بابتسامة فاتنة :

ـ المهم ألا تكون آخر مرة أراك فيها .

أومأ برأسه مبتسمًا ، وقال :

ـ أعدك بهذا .

وفتح الباب ليغادر السيارة ، ولكنه توقّف ليسألها :

ـ بالمناسبة يا دونا .. الجميع يتساءلون عن سر الاختفاء الغامض لدون (ميديتشى) ، وأعتقد أن لديك الجواب .. أليس كذلك ؟

هزّت كتفيها ، وهى تقول فى خبث :

ـ من يدرى ؟!.. أنت تعرف دون (ميديتشى) ونمطيته السخيفة ، ربما اشتاق لقضاء إجازة عند البحيرة ، فوضع قدميه فى دلو مملوء بالأسمنت ، وذهب ليزاول رياضة الغوص هناك .

عقد حاجبيه ، وقد فهم ماتعنيه ، وقال :

ـ أساليبك لا تروق لى أبدًا يا دونا .

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ ولكنها توفّر الكثير من الوقت ، فلم يعد هناك داع لمؤتمر أوّل الشهر .

ثم اعتدلت ، مستطردة :

ـ إلى اللقاء يا (أدهم) .. أشكرك مرة ثانية على مافعلته من أجلى .

قال فى هدوء :

ـ لقد فعلته من أجل (مصر) .

اتسعت ابتسامتها ، ثم تحولّت إلى ضحكة كبيرة ، وهى تلوّح بيدها ، قائلة :

- صدقنى .. أنا أحسد صديقتك ، على الرغم من غيبوبتها .. أحسدها كثيرًا .

ثم انطلقت بسيَّارتها مبتعدة ، وهى تلوِّح له بيدها ، فارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة ، وهو يغمغم :

- تحسدينها ؟!

ولم يكد يستدير ليدلف إلى المستشفى ، حتى وجد (ليديا) أمامه ، تبتسم ابتسامة خاوية ، وهو تقول :

- أهلاً .. إننى أنتظرك .

ابتسم ، قائلاً :

- كيف حالك يا (ليديا) ؟.. هل حصلت على الترقية، التى كنت تبغينها ؟

ملأت عينيها بوسامته ، قبل أن تجيب :

- اسمى ليس (ليديا) .. اسمى (سوزان) .. (سوزان بانكروفت) .

أجابها فى بساطة :

- كلاهما يناسبك .

تطلّعت إليه مرة أخرى فى صمت ، وأطلّ الوجد من عينيها ، قبل أن تسأله :

- لقد أتيت من أجل صديقتك .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فتنهّدت قائلة :

- كنت أعلم أنه من العسير أن تكون وحيدًا .

ثم مدّت يدها تصافحه ، مستطردة :

- الوداع يا (أدهم) .. تلك الساعات التى قضيتها معك ، كانت أسعد ساعات عمرى ، على الرغم من كل ماواجهناه فيها .. حاول أن تتذكّرها دائمًا ، كما سأفعل أنا ، ولا تنس أبدًا أن قلبى مفتوح لاستقبالك ، وقتما تشاء .

ابتسم مغمغمًا :

- لن أنسى يا (ليديا) .. أقصد يا (سوزان) .

كانت عقارب الساعة تقترب من الثامنة والنصف صباحًا ، عندما صافحته للمرة الثانية ، قبل أن تستقل سيارتها مبتعدة ، وهى تمسح دموعًا كتمتها طويلاً ..

وفى الثامنة والنصف وخمس دقائق ، كان (قدرى) يدلف إلى قسم الحالات الحرجة ، كعادته كل صباح ، ولكنه لم يكد يقترب من حجرة (منى) هذه المرة ، حتى توقّف بغتة ، واختلج قلبه بين ضلوعه ، فى رقصة ناعمة جميلة ، وترقرق الدمع فى عينيه ..

لقد وقع بصره على (أدهم) ، وهو يجلس إلى جوار فراش (منى) ، ويحتضن يدها الرقيقة بكفيه فى حنان بالغ ، وعيناه تمسحان وجهها بحب جارف ..

كانت كل مؤشراتها هادئة ناعمة ، وكأن روحها تعلن أن حبها أقوى من غيبوبتها ومأساتها ..

بل أقوى من الحياة نفسها ..

أما عيناه ، فكانتا تعلنان أن هذا الحب سيظلّ يغمر قلبيهما مهما كانت النتائج ..

ومهما طال الزمن .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

المطبعة العربية الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤